طرق ووسائل تنمية الإبداع الأدبي عند الأطفال

زهراء فداء الشيخ*

مقدمة:

الطفولة في أيّ مجتمع تمثل مستقبله، باعتبار أن طفل اليوم هو رجل الغد، ومن ثم فإن رعاية الطفولة أصبحت اليوم مقياسًا لتقدم الدول، ويرتبط بمقدار ما توفره لأطفالنا من فرص الرعاية والتنشئة السليمة، حتى غدت هذه الرعاية من أفضل الاستثمارات التي يمكن أن توجّه الدول جهودها إليها، لأنها استغلال لمصدر مهم من مصادر الثروة البشرية.

الطفل هو الثروة الأساسية للأُمَّة، ومن ثم فإن تنمية القدرة الخلاقة والمبدعة تصبح هي الهدف الأسمى لأي تثقيف إذا ما أردنا للمجتمع أن يرقى وينهض، وإذا ما قصدنا للأمة نماءً اجتماعيًّا وثقافيًّا واقتصاديًّا.

والمبدعون هم ركائز أساسية وضرورية لمجتمع متقدم، فهم ينتجون المعرفة الإنسانية ويطورونها ويطوّعونها للتطبيق، وهم الأمل في حلّ المشكلات التي تعوق التقدم الحضاري، وهم القوة الدافعة نحو تقدم الوطن ورفاهيته وإسعاده.

وأداء المبدعين ليس نتاجًا لقدرات عقلية معرفية فقط، ولا هو مزيج من القدرات المعرفية والسمات المزاجية فحسب، بل هو يتم في سياق اجتماعي يحيط بالفرد في مراحل عمره المختلفة ييسِّر ظهور الأداء الإبداعي ويدفع إلى تنميته، أو يعوق ظهوره، ويعاقب على استمراره.

إن ضخامة الخسائر في الثروة الإنسانية تتمثل في أطفال نابغين لا يجدون تشجيعًا على إظهار نوع من البحث عن هويّتهم، تمنعهم مواد مقروءة أو مسموعة أو مرئية في مجال أدب الأطفال عن مواصلة هذا البحث، فيضيعون في الطريق، ويتوقفون عن بحث هويتهم لتحقيق إمكاناتهم في سياق اجتماعي مناسب ومشجع.

إن مجال أدب الأطفال، بما يتضمنه من قصص وأشعار ومجلات وكتب ومسرح وأفلام وبرامج إذاعية مسموعة ومرئية، مجال مهم له دوره في التشجيع على الإبداع وتنمية القدرات الابتكارية والخلاقة لدى الأطفال.

ففي أدب الأطفال خبرات متنوعة شاملة ومتكاملة، والطفل يتلقى من هذه الخبرات ما يعدُّه للاستجابة بطريقة موجبة لخبرات حيوية قادمة، ويصحب تدريب الطفل على تنظيم بعض وظائفه الحيوية جوٌ وجداني خاص يغلب عليه الحبّ والتقبل والتشجيع، فهو يتعلم من خلال هذه الخبرات التي تقدَّم له، والتي يعايشها، على أنه متميز يمكنه السيطرة على وظائفه، وأنه يمكن إنجاز الخبرات الجديدة وحلّ المشكلات، بل يتم

تدريبه على إعادة التوافق مع ظروف الإحباط والفشل خلال محاولاته التوصل للحلول المناسبة.

أدب الأطفال باعتباره وسيطًا تربويًّا يتيح الفرص أمام الأطفال لمعرفة الإجابات عن أسئلتهم واستفساراتهم ومحاولات الاستكشاف واستخدام الخيال، وتقبل الخبرات الجديدة التي يرفدها أدب الأطفال.

إنه يتيح الفرصة أمام الأطفال لتحقيق الثقة بالنفس وروح المخاطرة في مواصلة البحث والكشف وحبّ الاستطلاع، والدافع للإنجاز الذي يدفع إلى المخاطرة العلمية المحسوبة من أجل الاكتشاف والتحرر من الأساليب المعتادة للتفكير، والميل إلى البحث في الاتجاهات الجديدة، وتفحص البيئة بحثًا عن الخبرات الجديدة، والمثابرة في الفحص والاستكشاف من أجل مزيد من المعرفة لنفسه وبيئته.

هذا كلّه يعني أن أدب الأطفال يوفر سياقًا نفسيًّا اجتماعيًّا يراعي سمات الإبداع وينميها خلال عملية التفاعل والتمثل والامتصاص، من حيث استثارة المواهب، ومحاولة تنمية هذه المواهب عن طريق تحقيق جوٍ من التسامح والدفء العاطفي والحبّ.

إنه يمثل ثقافة جزئية مؤثرة على الطفل في المرحلة العمرية التي ينمو فيها معرفيًّا ووجدانيًّا ومهاريًّا. كما أنه يمثل جانبًا مهمًّا من جوانب التربية في حياته، بل ربما هو التربية غير النظامية وبعض التربية النظامية التي تؤثر فيه؛ وبالتالي فإن دور أدب الأطفال في تنمية الإبداع والتأثير إيجابًا أو سلبًا في القدرات الإبداعية هو دور أساسي وجوهري.

إن معظم المواد المقروءة والمسموعة والمرئية التي تقدَّم للأطفال خارج المدرسة أو داخلها ترتبط بثقافة الذاكرة لا بثقافة الإبداع، فهي حقائق سردية تقريرية، وهي خزائن مملوءة بالحقائق والمفاهيم، كما أنها لا تحقق حوارًا مع الطفل، وهي مادة تخلو من التعليل والتفسير والموازنة وإعمال الفكر، بالإضافة إلى إهمال البحث عن العلاقات بين القضايا، والبعد عن استخدام الخيال.

كل ما سبق يمثل صيغة من الصيغ الغائبة في أدب الطفل العربي تحتاج إلى وضع المعايير المناسبة لتنمية الإبداع لدى الأطفال، وتشكيل الوعي المبتكر ووضعه في سياق اجتماعي يساعده على تنمية قدراته وفكره وخياله. إن بيئة الطفل قد تكون بيئة مساندة تعمل على الكشف عن طاقاته الإبداعية ورعايتها، وقد تكون بيئة غير مساندة، تعمل على تجاهل هذه الطاقات وتدميرها أيضًا. وما نقصده هنا بالبيئة البيت والمدرسة بشكل خاص.

هذه إضاءات بسيطة عما سنعالجه في هذا البحث حول الإبداع ودور البيئة المحيطة بالطفل في عملية التنمية.

- **الإشكالية:**

إن الأدب أحد المجالات التي تسعى التربية الإبداعية إلى توجيه الطفل نحوها إذا ما لوحظ وجود ميول أدبية لديه مثل: كتابة القصة والشعر وغيرهما. وللأدب تأثير كبير على لغة الأطفال وتفكيرهم وسماتهم النفسية

والشخصية. فما هو دور البيئة المحيطة به في تنمية ذوقه الأدبي؟ وما هي الطرق والوسائل التي يجب اعتمادها لتغذية الإبداع عند الأطفال؟ وما هو دور أدب الأطفال بمختلف وسائله في مجالات الفكر والابتكار والإبداع؟

من الأهمية بمكان أن يتعرض الطفل منذ الطفولة المبكرة للنماذج الأدبية المختلفة؛ لكي يتشكل لديه الحسّ والذوق الأدبي الفني. ففي البداية يسمع الطفل الأنشودة والقصة من الوالدين ومعلمة الروضة، وبعد أن يتعلم القراءة، يقرأ بنفسه ما يختار من القصص والأناشيد والمجلات وغيرها.

ما هو دور المعلم نفسه مفكرًا مبدعًا مجددًا، فكيف يتم الكشف عن الطلاب المبدعين ورعايتهم من قبل المعلم؟ وما أهمية أن يكون هو بذاته مبدعًا أو مقدرًا للإبداع؟

- **المنهج المعتمد:**

المنهج الاستقرائي في البحوث العلمية: فاخترت أولًا الموضوع وعنوانه وإعداد الخطة، بالرجوع إلى المراجع المناسبة، وتتبُّع المعلومات المُتَّصِلَةِ بموضوع البحث تحت كل عنوان.

المنهج الوصفي: باعتباره طريقةً من طرق التحليل والتفسير بشكلٍ علميّ منظَّمٍ من أجل الوصول إلى أغراضٍ محدّدةٍ لوضعيةٍ اجتماعيةٍ أو إنسانيةٍ. فهو يقوم على أساس تحديد خصائص الظاهرة ووصف طبيعتها، ونوعية العلاقة بين متغيراتها وأسبابها وما إلى ذلك من جوانب تدور حول سبر أغوار المشكلة أو الظاهرة والتعرف على حقيقتها. وهذا المنهج يسعى إلى الإلمام بموضوع البحث من خلال وصفه أسلوبًا وفكرًا.

- **خطة الدراسة:**

لقد قسّمت الباحثة هذه الدراسة حسب موضوعاتها إلى بابين رئيسين، تحت كل باب عناوين ثانوية ستتم دراستها في هذا البحث.

وأقسام الدِّراسة على الشكل التالي:

المقدمة:

الباب الأول: علاقة الإبداع بالتفكير واللغة

أ. الصفات المكونة لشخصية الطفل
ب. ماهية التربية الإبداعية
ج. العوامل المؤثرة في تحريك الإبداع عند الأطفال
د. تنمية التفكير الابتكاري والإبداعي
هـ. أهمية التذوق اللغوي
و. ازدياد الحاجة إلى التربية الإبداعية

الباب الثاني: الوسائل المساهمة في عملية الإبداع

أ. الخيال وعلاقته بأدب الأطفال
ب. دور الأسرة في تنمية الإبداع
ج. دور المدرسة في تنمية الإبداع
د. دور وسائل الإعلام في تنمية الإبداع
هـ. دور المكتبة في تشجيع أدب الأطفال
و. دور أدب الأطفال في تنمية الإبداع
ز. أنشطة ومهرجانات لتنمية إبداع الأطفال

الخاتمة والتوصيات

- **الباب الأول: علاقة الإبداع بالتفكير واللغة**

أ. الصفات المكونة لشخصية الطفل:

إن شخصية الطفل عبارة عن مجموعة من الصفات الاجتماعية والخلقية والمزاجية والعقلية والجسمية التي يتميز بها الطفل والتي تبدو بصورة واضحة متميزة في علاقته مع الأسرة. وعلى هذا فإن الصفات الاجتماعية والخلقية مثل التعاون والتعاطف والصدق والأمانة والصفات المزاجية ونعني بها الصفات التي تميز انفعالات الطفل عن غيره، كسرعة التأثر في المواقف المختلفة وعمق هذا التأثر أو سطحية وغلبة المرح أو التشاؤم على حالة الطفل المزاجية. وأما الصفات العقلية فهي التفكير المنظّم والملاحظة الدقيقة وحضور البديهة، الصفات الجسمية تتعلق بصحة الجسم ومظهره العام وخلوه من العاهات. كل هذه الصفات تدخل في تكوين شخصية الطفل وبقدر ما يتوفر للطفل من هذه الصفات وبقدر تعاونها واندماجها وتآلفها وقدرتها على التكيف في المواقف الاجتماعية يكون أثر الشخصية ويكون تكاملها.

- جوانب الشخصية، وهي ثلاثة:

أ. الدوافع والرغبات الفطرية، وهي جانب لا شعوري في شخصية الطفل.
ب. الإرادة في الشخصية: وهي التي تتحكم في تصرفات الإنسان، ووظيفتها أن توفق بين الرغبات الفطرية وبين الظروف الواقعية التي يعيش فيها الطفل.
ج. الضمير أو الرقيب النفسي: وهو الذي يمثل جملة المعايير والقيم التي يستخدمها الطفل في الحكم على دوافعه ورغباته. وهو يبدأ في التكوين في سن مبكرة من أيام الطفولة وهو من خصائص الاتجاهات والاستعدادات التي يكتسبها الإنسان في طفولته.

أثر الطفولة المبكرة في تكوين الشخصية:

في السنوات الأولى من حياة الطفل وخاصة ما قبل المدرسة من فترة الميلاد حتى الخامسة من العمر أثر حاسم ومهم في تكوين شخصية الطفل، لأن ما يتكون في هذه الفترة من عادات واتجاهات يصعب تغييره أو تعديله. ومن هنا تبدو خطورة الدور الذي تقوم به الأسرة في مجال تكوين شخصيات الأطفال تكوينًا يبقى أثره ملازمًا لهم في مختلف مراحل حياتهم. لذلك، فالأسرة لها دور حيوي في تشكيل شخصية الطفل. وهي قد تقوم بهذا الدور بصورة غير سليمة وبطريقة عفوية تخضع للظروف مثل ثقافة الأسرة ونوع السكن والمستوى المعيشي للأسرة – وتسمّى هذه المرحلة مرحلة ما قبل المدرسة من سن 2–5 تسمى مرحلة الاستعداد. ويبرز فيها دور الأمهات والآباء، لذلك يجب الأخذ في تثقيفهم في ما يتعلق في تنشئة أطفالهم، وعلى الأسرة في هذه المرحلة بالذات أن تراعي الأمور التالية:

أ. النمو الجسمي للطفل وخاصة البصر والسمع والنطق.
ب. النمو العقلي.
ج. النمو الاجتماعي.
د. الخبرات المكتسبة.

ب. ماهية التربية الإبداعية:

قد يكون هذا المصطلح جديدًا إلى حدٍّ ما، أو غير مألوف الاستعمال عند الكثيرين، لكن معالم معناه تتضح كثيرًا إذا وضعناه إلى جوار مصطلحات أخرى مألوفة، مثل: التربية الدينية، التربية الرياضية، التربية الفنية، التربية العلمية، التربية التقنية، وما إلى ذلك...

فهذه المصطلحات المألوفة تشير إلى أن التربية توجه اهتمامها وتركز أساليبها وأنشطتها ونتائجها على النواحي: الدينية – أو الرياضية – أو الفنية... لتحقيق أهداف معينة في هذه المجالات، مع مراعاة خصائص وإمكانات ومقومات التربية من ناحية، وكل مجال من هذه المجالات من ناحية أخرى، وما يمكن أن يحدث بينهما من تفاعل وتكامل ونشاط إيجابي متميز، يحقّق كلًا من أهداف التربية من ناحية، والأهداف الخاصة بكل مجال من ناحية أخرى. وبالمثل، فإنه في مجال التربية الإبداعية توجه التربية اهتمامها وأساليبها ونتائجها وأنشطتها إلى مجال الإبداع، مع مراعاة خصائص وإمكانيات ومقومات كل من التربية وعمليات الإبداع ودورها بالنسبة للفرد والمجتمع.

أي انها هي التربية في مجال الإبداع وما يمكن أن يحدث بينهما من تفاعل ونشاط إيجابي متميز، مع توظيف خصائص الإبداع ومقوماته لإثراء حياة الفرد والمجتمع الحاضرة والمستقبلية وتنميتها وتطويرها لمواجهة ما يطرأ عليها من متغيرات ومتطلبات بأفضل صورة ممكنة.

مفهوم الإبداع ومستوياته: "تعبير أبدع الشيء يبدعه بدعًا بمعنى أنشأه وبدأه، وأبدع الشيء، بمعنى اخترعه"[1]، وفي معجم ألفاظ القرآن الكريم: "أبدع الشيء بدعًا، وابتداعه، أنشأه وبدأه"[2]، ومن ذلك ما ورد في القرآن الكريم ﴿بديعُ السَّمواتِ والأرضِ﴾ (البقرة:117)، أي مبدعهما وموجدهما، والبديع من أسماء الله الحسنى، ومعناه المبدع، لو أنه بديع في نفسه لا مثل له.

وورد في قاموس "وبستر" أن: "الإبداع Creation يرجع إلى المصطلح اللاتيني Creat بمعنى النمو أو سبب النمو، والفعل الإنكليزي يبدع Create، أي أنه يأتي بالشيء إلى الوجود، ويدفع به إلى التحقق في الوجود، والصفة مبدع Creative، وهو من يملك أو يستحوذ على القدرة الإبداعية Creative Ability، التي تجعله كفؤًا لإنتاج العمل الإبداعي، والإسم Creativity إبداع، ويشير إلى أن يكون الشخص مبدعًا أو هو القدرة على الخلق The Ability of Creative"[3].

ولقد تعددت مفاهيم وتعريفات الإبداع، واختلف الباحثون في وضع تعريف جامع مانع له، ولعلّ السرّ في ذلك يرجع إلى محاولة الباحثين صياغة تعريفاتهم الخاصة التي تؤكد وجهات نظرهم المختلفة حول الإبداع من جانب، وتعقّد هذا الموضوع من جانب آخر.

لذا فقد صنّف العلماء التعريفات المختلفة للإبداع وحصرها ضمن أربعة اتجاهات رئيسة وهي:

- تعريفات محورها المناخ الذي يقع فيه الإبداع، ويتبناها علماء الاجتماع وعلماء الإنسان.
- تعريفات محورها الإنسان المبدع بخصائصه الشخصية والتطورية والمعرفية ويتبناها علماء نفس الشخصية.
- تعريفات محورها العملية الإبداعية ومراحلها وارتباطها لحل المشكلات وأنماط التفكير ومعالجة المعلومات، ويتبناها علماء نفس المعرفة.
- تعريفات محورها النواتج الإبداعية والحكم عليها على أساس الأصالة والملاءمة، وهذه التعريفات هي الأكثر شيوعًا بين الباحثين لأنها تعكس الجانب المادي الملموس لعملية الإبداع"[4].

"بل لقد تطور الأمر بحيث أصبح بعض العلماء يطالبون بضرورة وجود علم خاص بالإبداع يسمّى بعلم الإبداع (Creatology) يسهم في تكوينه علماء النفس والاجتماع والتربية والآداب والفلاسفة وكل من له صلة بالإبداع"[5].

ونظرًا لأن مفهوم الإبداع مفهوم واسع وعميق، فهو يمتد ليشمل الاختراعات والاكتشافات العلمية، والابتكارات، والابداعات الفنية والأدبية، كما أنه يشتمل أيضًا على التجديدات الأصلية على مستوى السلوك والعلاقات الإنسانية والاجتماعية، لذلك نعرض في ما يلي نماذج لبعض تعريفات الإبداع المختلفة:

تعريفات تركز على المناخ الذي يقع فيه الإبداع: إن المناخ الإبداعي في معناه الواسع يعني الوسط المباشر والتأثيرات الاجتماعية والنفسية والاقتصادية، والتربوية، أو هي كل ما يحيط بالفرد من أمور اجتماعية تسهل أو تحيط التفكير والأفعال الإبداعية.

وهذا يعني أن وجود المبدع أو الموهوب في بيئة تربوية منشطة لإمكانات الإنسان وقدراته الإبداعية، تطلق طاقاته وإبداعاته، أما إذا وجد في بيئة معوقة للإبداع فستكون حجر عثرة في طريق انطلاق الطاقة الإبداعية أو تعثرها.

وانطلاقًا من ذلك، يرى أنصار هذا الاتجاه أن الإبداع ظاهرة اجتماعية وذات محتوى حضاري وثقافي، وهناك من يرى أنه ينبغي أن ينظر إلى الإبداع على أنه عملية تنمية تتحكم فيها االظروف والبيئة المحيطة، وهو كأيّ سلوك آخر تحدده عوامل عدة بعضها مزاجي وبعضها الآخر وجداني، كما تحدده أيضًا عوامل اجتماعية واقتصادية وثقافية وبيئية.

تعريفات تركز على الشخص المبدع: "إن المبدع هو ذلك الشخص الذي يظهر مرونة أكبر نحو تمثيل المواقف والأحداث بطرق أكثر، وبسرعة أكبر من الشخص غير المبدع، أو هو ذلك الشخص القادر على اختراع حلول للمشكلات التي تواجهه، والاستفادة من المعلومات والخبرات التي تتجمع لديه، وإيجاد الروابط بين هذه المعلومات"[6].

ويبرز "جيلفورد" أبرز سمات الشخص المبدع في تعريفه للإبداع بأنه: سمات استعدادية تقسم طلاقة التفكير ومرونة التفكير، والأصالة، والحساسية للمشكلات،

وإعادة تعريف المشكلة وإيضاحها بالتفصيلات، ومن هنا فالمبدع في نظر "جليفورد" هو الذي يتمتع بقدرات الإبداع، أو بإحدى هذه القدرات كالمرونة أو الأصالة أو الطلاقة أو غير ذلك.

"ومن القوائم التي تلخص خصائص الأشخاص المبدعين قائمة الباحثة "كلارك" تضمنت ما يلي:

- الانضباط الذاتي والاستقلالية.
- القدرة على مقاومة الضغوط الاجتماعية.
- القدرة العالية على التذكر والانتباه للتفاصيل.
- تحمل القلق والغموض.
- الميل للمغامرة.
- تفضيل المسائل المعقدة.
- توافر قاعدة معرفية واسعة"[7].

يقول "بياجيه": "إن الهدف الأساسي من التربية هو خلق رجال قادرين على صنع أشياء جديدة، ولا يقومون فقط بتكرار ما صنعته الأجيال السابقة، رجال مبدعين، مبتكرين، ومكتشفين"[8].

ومما لا شك فيه أن هذا النوع من الرجال الذي ذكره "بياجيه"، يحتاج إلى تربية من نوع خاص؛ ألا وهي التربية الإبداعية. فمثلما توجد تربية دينية، وتربية رياضية، وتربية فنية، فإن هناك تربية إبداعية، هدفها خلق الأفراد المبدعين في المجتمع، من خلال الكشف عن طاقاتهم الإبداعية وتنميتها وتطويرها. وهذه التربية توجه اهتمامها وأساليبها وأنشطتها إلى الإبداع.

ولا يخفى على أحد أهمية وجود الأفراد المبدعين في المجتمع، "حيث تعتبر العمليات الابتكارية والإبداعية صاحبة الفضل في تقدم الحياة وتطورها على مرّ العصور والأجيال، ولهذا فإن أصحاب القدرات الابتكارية والإبداعية يكونون رأس مال قوميًّا وإنسانيًّا، يسهم في إثراء التراث البشري، وتقدم الإنسانية وازدهارها"[9].

ويقول "فيشر" (Fisher) إنه "إذا كان على أطفالنا أن يتوقعوا إشكالية التغير، سواء على المستوى الفردي أو الاجتماعي، وأن يتغلبوا عليها ويتعلموا مواجهتها، فإنهم بالإضافة إلى حاجتهم إلى تعلم كيفية التأقلم مع المستقبل، فإن عليهم أن يتعلموا كيف يشكلونه أيضًا. وإذا كان إعداد الأطفال لمواجهة التغيرات السريعة في العالم هو أحد تحديات التربية، فإن تعليمهم التفكير بإبداع يصبح حاجة ملحة"[10].

وتنبع قيمة التفكير الإبداعي من كونه يؤدي إلى مرونة الاختيار، فما ينقصه في السرعة يكسبه في نوعية القرار، فهو قادر على تحطيم المفاهيم والعادات المألوفة، وجعل العقل يفكر باتجاه أفكار واحتمالات جديدة.

لقد كشفت الكثير من الدراسات حول نمو الطفل وتطوره المعرفي، أن الطفل يولد ولديه الميل الفطري للاكتشاف والاستقصاء والتساؤل والتخمين، لكن عادة ما يحصل تغيير سلبي في عملية التعليم في عمر ثلاث أو أربع سنوات، ويمكن تسمية هذا التغيير "هدمًا"، حيث يتعلم الطفل أن يتوقف عن الإجابات التي تتضمن التخمين والإبداع عندما تواجه جهوده بالرفض لعدد من المرات، وبدلًا منها يصبح يوجه الأسئلة

مباشرة إلى الكبار، فهو يتعلم أن الإجابات لا تعتمد على ما يفكر ويؤمن به الطفل، بل على ما يفكر ويؤمن به أحد الوالدين أو المعلم. فالطفل هنا يبدأ بالتصرف بسلبية، ويبدأ بالاعتماد على سلطة الآخرين بدلًا من الاستمرار في التدرب على إيجاد الروابط والتخمين والإبداع، وبدلًا من زيادة مهاراته في الاكتشاف، والربط، والمقارنة، وربط المعلومات. فإذا لم يكن يعرف الإجابة الدقيقة، أو لم يكن قد فهم ما رآه بشكل كامل، فإنه ينتظر شرح الآخرين[11].

وهناك الكثير من الممارسات والنشاطات التي يمكن أن يقوم بها المعلم داخل غرفة الصف بالاشتراك مع طلابه، والتي تؤدي إلى تنمية مواهبهم وقدراتهم الأدبية الإبداعية، وهي ما سيتم تفصيله في سياق هذه الدراسة.

يقصد بالتربية الإبداعية أن توجه التربية اهتمامها وأساليبها وأنشطتها ونتائجها إلى مجال الإبداع، مع مراعاة خصائص وإمكانيات ومقومات كل من التربية وعمليات الإبداع ودورها بالنسبة للفرد والمجتمع. "أي أنها هي التربية في مجال الإبداع، وما يمكن أن يحدث بينهما من تفاعل ونشاط إيجابي متميز، مع توظيف خصائص الإبداع ومقوماته لإثراء حياة الفرد والمجتمع الحاضرة والمستقبلية، وتنميتها، وتطويرها لمواجهة ما يطرأ عليها من متغيرات ومواقف ومتطلبات، بأفضل صورة ممكنة"[12].

تعريفات تركز على العملية الإبداعية:

إن عملية الإبداع هي فعل أو نشاط نفسي اجتماعي كلّي يقوم به الإنسان المبدع، ويترتب عليه ظهور منتج إبداعي جديد يتميز بالجدة والأصالة والمناسبة، وهذه العملية هي مزيج من النشاطات المعرفية والمزاجية والدافعية والأدائية والإجتماعية، التي يقوم بها المبدع وهو في سبيله للوصول إلى هدفه وهو المنتج الإبداعي الذي يقوم بعد ذلك بتوصيله في شكل رسالة أو منتج إبداعي مناسب إلى الآخرين.

لذا فقد اهتم علماء النفس بدراسة هذه العملية وتحليلها، ومحاولة التعرف على مراحلها، وذلك لتعقد هذه العملية، فهي تشبه إلى حدّ كبير العملية التي يمر بها نشوء الجنين، من تكوين بدائي بسيط إلى تكوين كامل، وهكذا الأعمال الإبداعية العظيمة قد تكون فكرة على غاية من البساطة، يلتقطها المبدع من رحم أفكاره وخبراته وثقافته وإضافاته اليومية وعناءاته ليخرجها بعد ذلك في أحسن وأروع تكوين.

ومن أنصار هذا الاتجاه "تورانس" (Torance) الذي يركز على العملية الإبداعية في تعريفه للإبداع، حيث يرى أنه عملية تحسس للمشكلات والوعي بها وبمواطن الضعف والفجوات والتنافر والنقص فيها، وصياغة فرضيات جديدة باستخدام المعلومات المتوافرة، والبحث عن الحلول، وتعديل الفرضيات عادة وفحصها عند اللزوم وتوصيل النتائج.

كذلك "والاس" (Wallace) الذي يقدم تعريفًا للإبداع من خلال المراحل الأساسية التي يمرّ بها المبدع منذ بداية العمل

الإبداعي، وحتى إنتهائه، والتي تتمثل في أربع مراحل وهي:

- التهيؤ والإعداد (Preparation)
- الاختمار أو الاحتضان
- الإلهام أو الإشراف (Illumination)
- التحقق (Verification)

غير أن "روسمان" (Rosman) قدم عرضًا آخر لمراحل العملية الإبداعية من خلال دراسة أجراها على سبعمائة عالم ومكتشف، حيث حدد المراحل الآتية:

- الإحساس بوجود صعوبة أو مشكلة
- تكوين المشكلة
- فحص المعلومات وكيفية إستخدامها
- جملة الحلول المطروحة
- فحص الحلول ونقدها
- صياغة الفكرة الجديدة

إن هذه المراحل تتداخل وتمتزج، وليست مراحل متقطعة، وقد تجتمع هذه المراحل جميعها في لحظة الإبداع بدرجات متفاوتة، ويؤكد بعض العلماء أن مراحل الإبداع لا تحدث بطريقة منتظمة.

يبرز في أثنائها الإبداع، بحيث لا نستطيع أن نقف في أية مرحة من العملية الإبداعية، بل نعجز تمامًا من ردّ أي عنصر إبداعي إلى أصله أو مبعثه.

تعريفات تركز على الناتج الإبداعي:

الناتج الإبداعي: هو الشيء الملموس الذي يصل للآخرين ويستفيدون، ويتخذ صورًا مختلفة معروفة لديه، وهذا يعني أن الإبداع يكمن في الإنتاج الإبداعي الذي ينتجه المبدع، بعد مروره بالعملية الإبداعية ويتميز بالجدة والأصالة، ومن أنصار هذا الإتجاه "فيرتون" (Verton) الذي يرى "أن الإبداع هو قدرة الفرد على إنتاج أفكار أصيلة أو جديدة، والقدرة على إعادة التنظيم وإصدار إبداعات أو منجزات فنية أصيلة يقبلها الخبراء لأنها ذات قيمة علمية أو فنية أو اجتماعية أو تكنولوجية"[13].

ويتفق معه "خير الله" في أن "الإبداع هو قدرة الفرد على الإنتاج إنتاجًا يتميز بأكبر قدر من الطلاقة الفكرية والمرونة التلقائية والأصالة والتداعيات البعيدة وذلك كاستجابة لمشكلة أو موقف مثير"[14]، كذلك "والس" (Wallace) في أن "الإبداع هو عمل هادف يقود إلى نواتج أصيلة وغير معروفة سابقًا"[15].

ولكي يكون الإنتاج إبداعيًا لا بدّ أن تتوافر فيه مجموعة من السمات هي:

- أن يكون جديدًا مبتكرًا أصيلًا بالنسبة لحضارة معينة أو بالنسبة للجنس البشري أو بالنسبة للمجتمع.
- أن يكون استجابة لمشكلة معينة أو أنه يقدم حلًا لمشكلة يعاني منها الشخص المبدع.
- أن يكون مرضيًا ومقبولًا من الناحية الجمالية.
- أن يكون مستمرًا في مجاله.
- أن يكون قابلًا للتطور.
- أن يكون قادرًا على التعبير بشكل دقيق عن التجربة الذاتية.

بعد هذا العرض لتعريفات الإبداع من أبعاد وزوايا مختلفة، يمكن تعريف "الإبداع بأنه الخروج عن المألوف، والإبداع بالمفهوم التربوي عملية تساعد المتعلم على أن

يصبح أكثر حساسية للمشكلات وجوانب النقص والثغرات في المعلومات، واختلال الإنسجام، وما شاكل ذلك، وتحديد مواطن الصعوبة، من حلول وصياغة فرضيات، واختيار هذه الفرضيات وإعادة صياغتها أو تعديلها، من أجل التوصل إلى نتائج جديدة ينقلها المتعلم للآخرين"[16].

مستويات الإبداع:

لقد حاولت كثير من الاتجاهات والدراسات تقسيم الإبداع إلى مستويات، وقد اقترح "تايلور" خمس مستويات للإبداع، وهي:

- الإبداع التعبيري: ويعني تطوير فكرة أو نواتج مزيدة بغض النظر عن نوعيتها أو جودتها، ومثال هذا النوع من الإبداع الرسومات العفوية للأطفال.
- الإبداع الفني أو المنتج: ويشير إلى البراعة في التوصل إلى نواتج من الطراز الأول، ومثال ذلك تطوير آلة أو لوحة فنية.
- الإبداع الابتكاري: ويشير إلى البراعة في استخدام المواد لتطوير استعمالات جديدة لها دون أن يمثل ذلك إسهامًا جوهريًا في تقديم أفكار أو معارف أساسية جديدة.
- الإبداع التخيلي: وهو أعلى مستويات الإبداع وأندرها، ويتحقق فيه الوصول إلى مبدأ أو نظرية أو افتراض جديد كليًا.
- الإبداع الانبثاقي: ويعني انبثاق مبدأ أو افتراض جديد تمامًا ينبثق عن المستوى الأكثر أساسية والأكثر تجريدًا.

وهناك من قسّم الإبداع إلى مستويات ثلاثة، وهي:

- مستوى الإبداع الفردي – السيكولوجي: وهو المستوى الأول للإبداع أو قاعدة الأساس ويبدأ في المراحل الأولى من العمر، وهو ما يعدّ بمثابة مؤشر لإبداع لاحق حقيقي.
- مستوى الإبداع الناقد: وهو خطوة متقدمة عمّا سبق، فهو يقوم على تفكير يجاوز التعبير الحرّ، حيث ينتقد وينقض أسس النظم القائمة للأشياء، وهذا المستوى ليس أكثر من جسر يمهد الطريق نحو إبداع أكثر نضوجًا وتميزًا.
- مستوى الإبداع الخلاق أو العبقري: وهو أعلى مستويات الإبداع وأكثرها نضجًا وأصالة، لا يتوقف عند مجرد تجميع ورفض النظم القائمة بل يسعى للإنطلاق منها أو من النظم البديلة التي يتصورها المنطق في المستقبل، فيتيح سبيلا لم يطرقه أحد من قبل ويتخذ بداية جذرية تختلف عن الحاضر وعن كل ما يتوقعه الناس"[17].
- كما أن للإبداع مستويات مختلفة ومتعددة، فإن له أيضًا أنواعًا مختلفة، فالإبداع العلمي يختلف عن الإبداع الأدبي، ويختلف الإبداع في المجال الواحد، حيث تتمايز الأنواع والأشكال المختلفة للإبداع وفقًا لنوع العلم أو نوع الفن، وفي الوقت ذاته يمكن لفرد أن يكون مبدعًا في مجال، لكنه في مجالات أخرى يظهر التزامًا ومجاراة ودافعية بسيطة وقلة اهتمام"[18].

ج. العوامل المؤثرة في تحريك الإبداع عند الأطفال:

علاقة اللغة بكل من التفكير والإبداع:

إن الطفل يتسم بالنمو السريع في اكتسابه مهارات اللغة، لذا لزم التركيز على مداخل تنمية تلك المهارات من خلال

الاستماع والكلام، وصولًا إلى الإنتاج والإبداع اللغوي المنشود.

علاقة اللغة بالإبداع:

إذا كان للإبداع أشكال متعددة يجب تنميتها، فإن تنمية الإبداع من خلال اللغة يعد هدفًا أساسيًا من الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها، إذ لم يعد ينظر إلى تعلم اللغة على أنه عملية آلية نمطية، وإنما على أنه عملية تواصلية، وأن تدريب الطلاب على استخدامها وإصدار بدائل مختلفة دون التقيد بأشكال ثابتة للتعبير اللغوي، وإطلاق حريتهم في الإبداع والتركيز على المهارات العقلية وتنمية التفكير الإبتكاري عندهم، وعدم الاقتصار على مهارات التذكر والحفظ"[19].

فاللغة تعد وسيلة الإبداع اللغوي وأداة الكتابة الإبداعية وإتقانها ضرورة لازمة، لهذا "فإن النقاد العرب والقدامى شبهوا الإبداع الأدبي بعربة يجرّها جوادان أحدهما الإلهام والآخر اللغة"[20].

فاللغة الإنسانية ذات قدرات إبداعية لا حدود لها، فالإنسان يستطيع أن يركّب من الأصوات المفردة التي ليس لها معنى في ذاتها عددًا لا يحصى من المفردات، ويستطيع أن يكوّن من مفردات اللغة المختلفة عددًا لا يحصى من الجمل وهي بذلك تساعد أبناءها على ابتكار تعبيرات جديدة لم يسمعوها من قبل.

وبالمثل فإن اللغة تتسم بميزة أساسية من حيث إنها توفر للمتعلم الوسائل اللازمة لكي يعبر بصورة غير متناهية عن أفكار متعددة حيث تتكون اللغة من تنظيم كلامي منفتح منتظم يتيح للمتعلم إنتاج عدد غير متناه من الجمل والتعبير عن الأفكار الجديدة، وعلى تفهم التعبيرات الفكرية المتجددة في إطار لغته، وعلى حد قول أحد الباحثين إن متكلم اللغة قادر على النطق بجمل جديدة لم يسبق له قط سماعها من قبل، وكلما عكفنا على دراسة اللغة لفتت هذه القدرة الإبداعية انتباهنا"[21].

كما "يرتبط المظهر الإبداعي في اللغة ارتباطًا عمليًا بالكفاية اللغوية التي يمتلكها كل إنسان يتكلم لغة معينة والتي تتيح لكل من يعرف لغته أن يعبّر عن عدد غير محدود من الأفكار الجديدة الملائمة لظروف جديدة، وذلك باعتبار أن الإنسان قادر على إنتاج العديد من الجمل المتناهية بواسطة عدد محدود من القواعد والمفردات اللغوية والتي تشكل أداء الفرد الكلامي"[22].

فالإبداعية في اللغة – إذن– هي القدرة على إنتاج غير محدد من الجمل المتجددة بصورة دائمة، كما أنها – في الوقت نفسه – المقدرة على تفهمها، كما يمكن القول أيضا أن الإبداع في اللغة هو عبارة عن تجميع لمفردات مألوفة في صياغة جديدة غير مسبوقة، فالإنسان يستطيع أن يضع الكلمة الواحدة في عدد غير متناه من الجمل، حتى ليحدث في حالات كثيرة أن تجيء صياغة بعيدة من المألوف، لكنها مؤدية للمعنى، ذلك هو سرّ الإبداع في أبسط صوره وفي أعلاها.

وبالتالي "فإن اللغة تحمل في طياتها سرّ إبداعها، فهي من خلال مفرداتها وجملها وأفكارها وتعبيراتها قادرة على تجديد

نفسها باستمرار، لذلك قال أحد الباحثين إن اللغة والإبداع بينهما علاقة وثيقة تتضح في إستخدام المتعلم للغة بصورة دائمة ومتجددة مما يؤدي إلى الإبداع فيها"[23].

"ومصدر الإبداع في اللغة يرجع إلى طبيعة اللغة الإنسانية ذاتها، فهي تتكون من مجموعة لا متناهية من الجمل والتراكيب والتنظيم اللغوي، كما أنها مرنة ومتغيرة وتحتمل الإضافة، والإقصاء في المفردات والتراكيب والدلالات، وهذا يمكن ملاحظته عند مقارنتنا معاني الكلمات في المعاجم القديمة بمعانيها الحاضرة في كل لغة من اللغات"[24].

من هنا فالاستعمال الطبيعي للغة، هو استعمال حركي متجدد مما جعل "تشوميسكي" يقول إن اللغة ما هي إلا عملية ابتكارية إبداعية. فصلة الإبداع باللغة تتميز بالتنوع والتلازم، ذلك أن الإبداع في أبسط مفاهيمه وأدقها هو الكشف عن علاقات جديدة، وعملية الكشف هذه صفة ملازمة للعقل الإنساني تعينه في إثراء الصراع الدائم إستجابة لحتمية التغيير من أجل التكيف مع الواقع فالإنسان كائن عقلي، وبعقله – دائما – يفكر في وسائل تكيفه مع البيئة الجديدة في عملية إبداعية، فالإبداع شيء مهم وضروري من أجل إثراء اللغة لتحقيق غاياتها، وأداء دورها الطبيعي كوسيلة للتعبير وللتفكير.

مما سبق يتضح أن اللغة هي الوسيلة التي تعبر عن تفكير الأشخاص وتبرز مدى إبداعهم وصياغتهم الأشياء صياغة جديدة، فهي الأداة المنطوقة فيها، ويعد ذلك الأداء معبرًا لخروج الإبداع من حيز الواقع، فلولا اللغة المنطوقة ما أطلقنا الحكم على الأشخاص بأنهم مبدعون.

ونظرًا لأن اللغة تستخدم من خلال أوعية وأشكال مختلفة، من بينها القصة والمسرحية والأنشودة والطرفة، والنادرة والمقال، وغير هذه الأشكال، فإن كل شكل منها يرتبط ارتباطًا وثيقًا بعملية الإبداع، ولنأخذ مثلًا لذلك، القصة.

فالقصة لها دور كبير في تنمية مهارات الإبداع بصفة عامة، والإبداع اللغوي بصفة خاصة، وكذلك لإبداع الطفل لما فيها من متعة وجمال يشغف به الطفل ويشده إلى عالمها، فهي تطلق العنان للطفل كي يفكر ويتخيل الأحداث والمواقف والشخصيات ويكون ذلك بمثابة المثير الذي يدفعه إلى الإبداع، وفيما يلي عرض لمهارات الإبداع اللغوي التي يمكن تنميتها من خلال القصة. – الطلاقة: وتعني في إطار البرنامج الحالي – قدرة الطفل على إنتاج أكبر عدد من الاستجابات اللغوية المناسبة في فترة زمنية محددة استجابة لمشكلة لغوية أو مثير لغوي.

ومن أهم مهاراتها الفرعية:

- أن يأتي الطفل بأكبر عدد من العناوين المناسبة لقصة أو موضوع ما.
- أن يتخيل الطفل أكبر عدد من النهايات المناسبة لقصة ما.
- أن يأتي الطفل بأكبر عدد من التعبيرات عن أفكاره الواردة بقصة أو موضوع ما.

• أن يؤلف الطفل أكبر عدد من القصص باستخدام عناوين معطاة له.

– المرونة: ويقصد بها قدرة الفرد على تغير الزاوية الذهنية التي ينظر من خلالها إلى الأشياء والمواقف المتعددة، وهي تعني قدرة الطفل على إنتاج أكبر عدد من الاستجابات اللغوية المتنوعة وذات الدلالة مع السهولة في تغير تفكيره والتحول من استجابة إلى أخرى في فترة زمنية محددة استجابة لمشكلة لغوية أو مثير لغوي. ومن أهم مهاراتها الفرعية:

• أن يأتي الطفل بعناوين مناسبة وملائمة لقصة أو موضوع استمع إليه، بحيث تتسم بالمرونة والتنوع.
• أن يتخيل الطفل نهايات مناسبة وملائمة لقصة أو موضوع ما بحيث تتسم بالمرونة والتنوع.
• أن يأتي الطفل بأفكار مناسبة وملائمة ذات صلة بقصة ما بحيث تتسم بالمرونة والتنوع.
• أن يأتي الطفل بتغيرات لغوية معبرة عن أفكار واردة بقصة أو موضوع ما بحيث تتسم بالمرونة والتنوع.
• أن يؤلف الطفل قصصًا باستخدام كلمات وأفكار واردة بقصة أو موضوع ما تتسم بالمرونة والتنوع.

– الأصالة: "يقصد بها إنتاج شيء جديد يمكن تنفيذه وتحقيقه، وهي من أهم عوامل التفكير الإبداعي"[25]. والأصالة تعني قدرة الطفل على إنتاج استجابات لغوية تتميز بالجدة والطرافة وعدم الشيوع في فترة زمنية محددة استجابة لمشكلة لغوية أو مثير لغوي، ومن أهم مهاراتها الفرعية:

• أن يأتي الطفل بعناوين مناسبة وملائمة لقصة أو موضوع، بحيث تتسم بالجدة والأصالة.
• أن يتخيل الطفل نهايات مناسبة وملائمة لقصة أو موضوع ما، بحيث تتسم بالجدة والأصالة.
• أن يأتي الطفل بتعبيرات لغوية معبرة عن أفكار واردة بقصة أو موضوع ما بحيث تتسم بالجدة والأصالة.
• أن يؤلف الطفل قصصًا باستخدام كلمات وأفكار واردة بقصة أو موضوع ما بحيث تتسم بالجدة والأصالة.

– التفاصيل (الإكمال): "ويقصد بها العامل الإكمالي أو التوسع على أساس من المعلومات المعطاة لتكملة بناء ما من نواحيه المختلفة حتى يصير أكثر تفصيلًا، أي أنه يعني قدرة التميز على تقديم إضافات جديدة لفكرة معينة فقد لاحظ لورانس أن التلاميذ الصغار المبدعين يميلون إلى زيادة كثير من التفاصيل غير الضرورية إلى رسوماتهم وقصصهم".

وهي تعني قدرة الطفل على إضافة تفاصيل مناسبة وجديدة ومتنوعة معينة في فترة زمنية محددة، ومن أهم مهاراتها الفرعية:

• أن يضيف الطفل أفكارًا جديدةً وطريفةً لقصة أو موضوع ما.
• أن يؤلّف الطفل قصة أو موضوعًا ما لعدد من العناوين والأفكار المعطاة له.

• أن يكمل الطفل قصة أو موضوعًا ما ويعطي التفاصيل عن نهاياتها.
• أن يؤلف الطفل قصة أو موضوعًا ما من خلال صورة أو موقف معين.
• أن يصف الطفل شخصية أو حدثًا ما في قصة وصفًا مفصلًا.

وما يقال عن القصة يمكن أن يقال على أي شكل أدبي آخر.

علاقة اللغة بالتفكير:

اللغة قدرة ذهنية، تتكون من مجموع المعارف اللغوية الممثلة في المعاني والمفردات والأصوات والقواعد التي تنظمها، فهي تتولد وتنمو في ذهن ناطق أو مستعمل اللغة، فتمكنه من إنتاج عبارات لغته كلامًا أو كتابة، كما تمكنه من فهم مضامين إنتاج أفراد مجموعته هذه العبارات وبذلك تتوافر الصلة بين فكرة وأفكار الآخرين.

"فهي تنمو مع النمو العقلي فهي مظهر من مظاهره وهي في نفس الوقت عامل مهم في النمو العقلي، إذ يعد اكتساب الإنسان الكلام اكتسابًا لأداة ثمينة من أدوات التفكير، ومن ثم تزيد إمكانياته العقلية زيادة كبرى حيث تزداد جمل الطفل من حيث الحجم والتعقيد كلما تمكّن من الناحية العقلية"[26]. وهناك وجهات نظر عديدة لتوضيح العلاقة بين اللغة والتفكير، ولتوضيح ذلك يمكن القول: إن الطفل يعبر عن أفكاره ويستقبل أفكار الآخرين عن طريق اللغة أولًا، لذا فإن اللغة لصيقة بالتفكير والوحدات اللغوية التي يستخدمها الطفل لها معانيها والمعنى في حد ذاته مظهر فكري، والطفل الوليد حين يصدر أصواتًا لفظية دون أن يكون لها معنى لا يمكن النظر إليها على أنها تعبر عن فكر، لكن ما إن يبدأ بإصدار الكلمات ذات المعنى فإن هذا يعني أنه يجد تعبيره من خلالها، ومن جانب آخر فإن استجابة الطفل للرموز اللغوية تنطوي على قيامه بعمليات عقلية معرفية كثيرًا ما يكون التفكير واحدًا منها.

"فإنتاج اللغة كلامًا يستند على التفكير: فاللغة ليست معرفة، وما هي بمعلومات، وإنما هي أمور تحت الكلام وتحت الكتابة، وعلى أساسها يجيء الكلام وتكون الكتابة فالمقصود بإنتاج اللغة استخدام معايير ونظم عقلية هي نفسها المعايير اللغوية في نطق المنطوقات، حيث إن النطق الصحيح للكلمات يعني أمرين مهمين وضوح المعايير العقلية، والتلاؤم بين هذه المعايير والأصوات المنطوقة"[27].

كذلك التطورات اللغوية التي تطرأ على قاموس الطفل لا بد أن يصاحبها نمو عقلي ما دامت اللغة فكرًا وأسلوبًا، فاللغة تسهل عملية التفكير وتسمح بأن يكون التفكير أكثر تعقيدًا وكفاءة.

"فالصلة وثيقة بين اللغة والتفكير فيتوقف التفكير إلى حدٍّ كبير على الصور اللفظية البصرية والسمعية، فاللغة تمثل عونًا كبيرًا على التفكير وعلى تنظيمه وتسييره وتوضيحه، فاللغة وسيلة تمثل الأفكار، وكلما زاد الثراء اللغوي، توفرت الكلمات المعبرة عن الأشياء والمفاهيم ذات قدرة الفرد على التفكير والتعبير ونقل

الأفكار، ومن ثمّ فتقدم الفكر مرتبط أشد الارتباط بثراء اللغة، كما أن ضحالتها والفقر في ألفاظها من العقبات الرئيسة في طريق التفكير، ونموه وتطوره"[28]، فاللغة هي الوعاء، أو المظهر الخارجي الذي يتم تقديم الفكر من خلاله، وأن ما يدور بخلد الإنسان يمكن التعبير عنه بأكثر من وسيلة، إلا أن اللغة هي أكثر الأدوات شيوعًا في التعبير عن الفكر.

واستيعاب هذا الارتباط الوثيق بين اللغة والتفكير يوضح عمق أثر أدب الأطفال وتأثيره على كل من: اللغة التي يقوم بدور أساسي في غناها وثرائها، والتفكير الذي يمكن أن يقوم أدب الأطفال أيضًا بدور مهم في تنميته وتطويره، ودعم أسلوبه الصحيح بين الأطفال. ولقد أكد ذلك عالم النفس "سانتس" (Santis) بقوله: إن التفكير يخلق الكلمة، وهي بدورها خالقة التفكير، كما أكد الإغريق والرومان على العلاقة الحميمة التي تربط بين اللغة والتفكير، فالفلاسفة واللغويون لا يزالون يرددون مقولة أرسطو ليس ثمة تفكير من دون صورة ذهنية، وفي مقدمة هذه الصورة الذهنية الرموز اللغوية.

ولعل الشاعر العربي كان مترجمًا أمينًا لهذه المقولة حينما قال:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما
جعل اللسان على الفؤاد دليلا

فاللغة تلعب دورًا جوهريًا في الفكر سواء أكانت وعاءً لتوصيل الأفكار أم أدلة التعبير عنها، أم رداءً لها، فعندما يفكر الإنسان يستخدم الألفاظ والجمل والتراكيب اللغوية التي يستخدمها في كلامه وكتابته ويستمع إليها من الآخرين، ولعلّ ما يؤكد الصلة الوثيقة بين اللغة والتفكير ما نجده في أحاديثنا اليومية من مثل: "لا أجد ألفاظا للتعبير عن آرائي"، أو "لا تسعفني اللغة في نقل مشاعري".

الفرد يتعلم التفكير:

يقتصر عمل كثير من المدارس على تزويد الأطفال بالمعلومات المنهجية في نواحي العلوم والفنون والآداب المختلفة، وهذا يمثل قصورًا كبيرًا في قيام هذه المدارس بدورها في تنشئة الصغار، لأنها تغفل أمرًا على درجة قصوى من الأهمية، هو: "تعلم واكتساب طريقة التفكير الصحيحة" بحيث يكون تفكير الفرد علميًا منطقيًا سديدًا موضوعيًا بعيدًا من التعصب، أو المصلحة الشخصية والعوامل الذاتية.

وطريقة التفكير الصحيحة هي عادة معرفية لها قيمة كبيرة في التقدم البشري، وهي من أهم ما يجب أن يركز عليه المشتغلون في ميادين التربية والتعليم.

أما الاقتصار على الحفظ والاستظهار، والاعتماد على الذاكرة وحدها، فإنه لا ينجح في إعداد الفرد المفكر الناقد المستنير، الذي يحسن الحكم على الأمور، وتقدير العواقب، وابتكار الحلول، والذي يستطيع أن يسير بمجتمعه خطوات إلى الأمام.

د. تنمية التفكير الابتكاري والإبداعي:

تقوم التربية الإبداعية بدور مهم في تنمية التفكير الابتكاري والإبداعي عند الأطفال بوسائل مختلفة منها:

أ. إتاحة الفرص أمام الطفل للإسهام في حل مشكلاته الخاصة، وقيامه بدور إيجابي

في هذا السبيل، بدلًا من أن نقدم له الحلول الجاهزة، مع تدريبه على إدراك المشكلة من جميع جوانبها، وافتراض الحلول، وتقييم هذه الحلول بطريقة موضوعية، ومحاولة وضعها موضع التنفيذ، وما إلى ذلك مما ينمي التفكير العلمي والابتكاري عند الأطفال.

ب. تنمية خيال الأطفال بطريقة سليمة، والطفل لديه استعداد قوي لهذا، والخيال الإنساني مسؤول عن كل الأعمال الابتكارية في حياة البشر.

ج. إتاحة الفرص أمام الأطفال للتجريب واكتشاف الأشياء واستطلاع البيئة المحيطة بهم، والكشف عن خواص الأشياء، وتجريبها. وممارسة ألعاب البناء والتركيب، والرسم والقص والتكوين، وما إلى ذلك مما يرضي محاولاتهم الأولى في عالم الابتكار والإبداع، ويكون له أثر قوي في تربيتهم وأسلوب تفكيرهم.

د. الاهتمام بالفروق الفردية بين الأطفال، لأن لكل طفل عالمه الخاص، ومن المهم أن نعمل على تنمية استعدادات الفرد وقدراته إلى أقصى حدودها إمكاناتها.

ه. إثارة اهتمام الأطفال بالمشكلات المختلفة، والإحساس بها، وإثارة حماستهم للبحث في هذه المشكلات، والتماس الحلول المبتكرة المناسبة لها.

و. الاهتمام بممارسة الأنشطة الإبداعية وتذوقها، والإبداع متنوع تنوّع الحياة، وهو يتضمن كافة أنواع النشاط الإنساني، ومن المهم أن تتاح للطفل فرص ممارسة الأنشطة الإبداعية المختلفة وتذوقها، مثل: الرسم، التصوير، الأشغال الفنية، الهوايات، والابتكارات التقنية (وهي مما تتميز به المدارس الحديثة)، التصميم، العمارة، الخزف، النسيج، الطباعة، الأدب، الشعر، كتابة القصة...

ز. هنا يجد الطفل نفسه مبتكرًا، يبدأ إنتاجه الفني بمعارفه السابقة، ثم يضيف إليها من ذاته وأحاسيسه وعواطفه وأفكاره، فيخرج إبداعاته الأولى التي تمهد لإعداده ليكون فردًا مبتكرًا، أو مبدعًا.

ح. تنمية قدرة الأطفال على الملاحظة الدقيقة، والتقاط الظاهرة ذات القيمة، التي تبدو وكأنها حدثت مصادفة، مثل سقوط التفاحة من الشجرة - أو ارتفاع غطاء الإناء بفعل قوة البخار، وتشجيعهم على محاولة تفسير هذه الظواهر، واختبار التفسيرات المختلفة، والتحقق من صحتها.

ط. تدريب الأطفال على الصبر والمثابرة وبذل الجهد المتصل، فالمبدعون يتميزون دائمًا بالقدرة على تحمل العناء.

ي. تدريب الأطفال على التفكير الناقد الذي يحسن التعليل والتحليل وربط الأسباب بالنتائج، وهل تؤدي هذه الأسباب إلى تلك النتيجة؟ وهل هذا التفسير يتفق مع الأسباب؟ وما مدى معقولية الفكرة؟ وما المبررات؟ ومدى سلامتها، وفاعليتها، وتقييم الأمور بطريقة موضوعية، بعيدًا من الهوى والغرض والميل الشخصي.

ك. التفرقة في المدرسة بين (مسائل السلوك والنظام) وبين (مسائل الفكر)، فإذا كان على الطفل أن يلتزم بالنظام المدرسي، فإن له أن يفكر ويجدد ويبتكر في مسائل الفكر والمواقف التعليمية، بحيث تتاح له

فرص تنمية شخصيته وإبداعاته في مختلف المجالات. ومن حقّه أن يجد من المدرّس صبرًا وتشجيعًا، وتفهّمًا لأفكاره ومحاولاته، وعونًا على تطويرها بطريقة ناجحة.

ل. تشجيع التعلم عن طريق الاكتشاف، وهذا يرتبط ببعض ما جاء في النقاط السابقة، وفي كثير من الدول المتقدمة يعتبرون أن أهم ما يتعلمه الطفل هو ما يصل إليه عن طريق الاكتشاف، لا عن طريق الحفظ والتلقين.

م. مهما كانت قدرات الأطفال الإبداعية الكامنة، فإنها لن تؤتي أكلها ما لم تكن محاطة ببيئة مساندة دافئة، تكشف عن هذه القدرات وتوجهها وتساعدها على النمو والتطور. فكل الأطفال يولدون ولديهم قدرات إبداعية، لكن الأمر يعود إلينا لتوفير البيئة المساندة لجهود الطفل الإبداعية.

وعالم النفس "كارل روجرز" يقول: "إن الناس يحتاجون إلى شرطين إذا أرادوا أن يقوموا بعمل مبدع: الأمن النفسي، والحرية النفسية. وإحساس الطفل بالأمن النفسي ينتج من ثلاث عمليات مترابطة:

أ. تقبل الطفل كفرد ذي قيمة غير مشروطة، والإيمان بالطفل بصرف النظر عن وضعه الحالي.

ب. تجنب التقييم الخارجي، ودعم تقييم الذات.

ج. التعاطف مع الطفل، ومحاولة رؤية العالم من وجهة نظره، وتفهمه وتقبله[29]".

وبإمكان الشخص البالغ الذي يرشد الطفل، سواء أكان أحد الوالدين، أو المعلم أن يقول للطفل "لا يعجبني تصرفك"، لكن عليه أن يكون حذرًا في استخدام بعض الألفاظ التي تقيم الطفل ذاته مثل: "أنت سيء، مخطئ، كسول".

ومع أن الفرق بين الأسلوبين دقيق، وقد لا يتنبه له البعض، إلا أنه مركزي لبيئة الإبداع، فهناك فرق بين أن نقيّم أو ننتقد سلوك الطفل، وبين أن ننتقده أو نقيمه هو ذاته، فقد سبق أن ذكرنا أنه يجب علينا أن نتقبل الطفل كما هو دون شروط.

وقدرة الطفل الإبداعية تُغذّى بالاستحسان الإيجابي والدافئ من قبل البالغين المهمين في حياته. فالأطفال يميلون للخلق من أجل من يحبون.

أما الحرية النفسية فإنها تقوي الإبداع بإتاحة حرية التعبير لدى الأطفال. ويجب أن يشعر الأطفال بدرجة كافية من الأمان تتيح لهم تجربة الأشياء الجديدة، وأن يعطوا الحرية للقيام بذلك ضمن حدود، لكن بحيث لا تكون حريتهم عائقًا أمام حرية الآخرين. وفي ظل مناخ مساند للإبداع يُقدّر الراشدون والأطفال عاليًا الأصالة وليس المسايرة لأفكار الآخرين، ويُقدّرون كذلك اختلاف الأفكار وليس التشابه. ومن الممارسات التي تساند الإبداع تشجيع الذات الساعية إلى التجريب وليس الذات الساعية إلى حماية نفسها[30].

وللتعابير والألفاظ التي نقولها للأطفال أهمية في إضعاف ثقتهم بأنفسهم، وتدمير تقدير الذات لديهم، أو على العكس دعم التفكير الإبداعي لديهم، ودعم ثقتهم بأنفسهم.

وعلينا أن نتقرب من الأطفال بتفهم كبير، هادفين إلى تقليل أخطائهم، ومكافأة جهودهم. "والدراسات البحثية أظهرت أهمية وجود توقعات كبيرة من الأطفال. فتوقعات البالغين من الطفل، سواء الإيجابية أو السلبية تؤثر على استجابات الطفل إلى التفكير والتعليم. ويذكرنا تورانس أن الإبداع يتطلب الجرأة؛ فبمجرد أن يمتلك الفرد فكرة جديدة، يصبح أقلية مكونة من فرد واحد"[31].

وفي إطار البحث عن العوامل التي تساعد في تنمية الإبداع وتطوره، وجد أن آباء وأمهات الأطفال المبدعين أقل ميلًا إلى التسلط، ويتيحون لهم الحرية الكاملة لاتخاذ القرار الذي يراه الطفل المبدع مناسبًا، كما يتيحون لأطفالهم فرصة اكتشاف البيئة من حولهم. أضف إلى ذلك قيام الآباء والأمهات باصطحاب أطفالهم إلى المكتبات، وكثيرًا ما يقرأون الكتب والقصص أمام أطفالهم، فهؤلاء الآباء والأمهات يفضلون أسلوب التوجيه، ونادرًا ما يلجأون إلى العقاب الجسدي"[32].

وتؤثر العوامل الثقافية تأثيرًا كبيرًا على سير تطور الإبداع، ومستوى وظائفه، ونمطه. ويحصل الطلبة الذين يعيشون في بيئات مدعمة وغنية ثقافيًا على درجات إبداع أعلى من الدرجات التي يحصل عليها الطلبة الذين يعيشون في بيئات محبطة ومحرومة، أو فقيرة ثقافيًا"[33].

هـ. أهمية التذوق اللغوي:

إن تذوق الشيء معناه كما يقول "د. ستانلي جاكسون" إدراك قيمته إدراكًا يجعلنا نشعر به شعورًا شخصيًا مباشرًا، وفي نفس الوقت نشعر حياله برابطة وجدانية، تدفعنا إلى تقديره وحبه والاندماج فيه بحرارة وحماسة.

وإذا كان التذوق أمرًا يغلب عليه الوجدان أو الإنفعال، فإنه إلى جانب ذلك أيضًا يتصل بالتفكير، ويحتاج إلى قدر من الفهم، لهذا نكون أكثر استعدادًا لتذوق الشيء إذا ما فهمنا معناه.

وللتذوق على هذه الصورة أهميته الخاصة في مجال التربية، لأسباب منها:

أ. أنه يحوي بين طياته إدراكنا لقيمة الشيء وارتباطنا الوجداني به، ومن الطبيعي أن يكون أعظم رسوخًا في النفس، وأطول بقاء، وأكبر تأثيرًا من غيره من الأمور التي يتعلمها الفرد دون أن يشعر بقيمتها، أو يحس نحوها بأي رابطة وجدانية، مما يجعل أثرها سطحيًا سريع الزوال.

ب. أن اللغة وما تضمه من تراث أدبي، هي وسيلة من أهم الوسائل التي نتعرف عن طريقها على عالمنا حاضره وماضيه، ومن خلالها يصل إلينا التراث الإنساني الذي ظل خالدًا على مر العصور، وما لم نصل إلى درجة مناسبة من فهم اللغة وتذوقها، فلن نستطيع أن نفهم هذا التراث ونتذوقه حق التذوق.

ج. واعتماد الأفكار على الألفاظ في التعبير عنها تعبيرًا دقيقًا واضحًا محددًا، يستدعي من الإنسان أن يعنى باختيار ألفاظ اللغة وفهم دقائقها واستعمالها بوضوح وتحديد، وهو أمر لا يتم بصورة مرضية ما لم نصل إلى مرحلة تذوق اللغة.

د. للتذوق صلته الوثيقة بالذوق السليم، وتكرار التذوق يكسب الفرد معايير ذوقية سليمة قد تنعكس على تصرفاته الأخرى، فنراه يقدر كل ما هو جيد، ويهدف في عمله إلى الإجادة والإتقان.

هـ. وأخيرًا – وليس آخرًا – فإن التذوق اللغوي يزيد من استمتاع الفرد بلغته حين يستعملها في الحديث أو الكتابة أو القراءة أو الغناء، ويزيد من استمتاعه بحياته، ويفتح له آفاقًا رحبة فسيحة حين يقضي بعض وقته مع كبار الكتاب والأدباء والمفكرين على صفحات كتبهم ومؤلفاتهم، في رياض الفكر، وحدائق الأدب الغنّاء، وآفاق العلم والمعرفة.

التذوق اللغوي في المراحل المختلفة:

يجب أن تتمشى تنمية التذوق اللغوي مع الاعتبارات التربوية والسيكلوجية والفنية التي سبقت الإشارة إليها، والقصص والأغاني والألوان المختلفة من أدب الأطفال الجيد تعرف طريقها إلى وجدان الأطفال، وتجذب انتباههم، وتثير فيهم عوامل التقدير والإعجاب، وتصل بهم إلى درجة التذوق، ومراحل التعاطف والإندماج.

وتعدّ فترة المراهقة على وجه الخصوص، أنسب مراحل الحياة لنمو التذوق اللغوي – ولعل طبيعة الشاب المتغيرة في هذه الفترة، تكون في حاجة إلى نوع من الغذاء العقلي أكثر خصبًا مما ألفه، وهذا يجده في اللغة والأدب بألوانه المختلفة، بل إن كثيرًا من المراهقين في هذه المرحلة يشعرون برغبة ملحة في كتابة الشعر، وتأليف الأغاني أو القصائد المختلفة، وإن كانوا يحاولون إخفاء هذا، وتتخذ النواحي الجمالية في حياتهم معاني جديدة، ونزداد عمقًا وتأثيرًا في نفوسهم، لكنها سرعان ما تصطم بما تخلقه الأزمات النفسية عندهم من مشكلات، وهنا يقوم التذوق اللغوي بدور في حل هذه المشكلات، عندما نحسن تقديم ما يناسب المراهقين من ألوان القصص والأغاني والمسرحيات، وما إليها بمهارة ولباقة تساعدان على ملء خيالهم بالأفكار السليمة الجذابة، التي تنير الطريق أمامهم لعبور هذه الفترة الحساسة بطريقة صحيحة سليمة.

العوامل التي تساعد على تربية التذوق:

أ. الكثرة: فليتذوق الطفل ألوان الموسيقى، يجب أن نسمعه كثيرًا من الألحان، ولكي يتذوق ما في الأدب من جمال، يجب أن نمدّه بكثير من ألوان الأدب الجيد عن طريق القصص والأغاني وما إليها، والوقوف عند ما هو دون الكفاية في هذا المجال لا يصل بالناشئ إلى درجة كافية من التذوق الفني.

ب. الحرية: وحرية الفرد في اختيار ما يريد من ألوان الأدب، وقتما يريد، وبطريقته الخاصة، هي الخطوة الأولى في عملية تربية التذوق، لأن الفرد يختار ما يحب، لكنه لا يشعر نحو ما يفرض عليه إلا بالضيق أو الكراهية، وما يبدأ بالضيق أو الكراهية من الصعب أن ينتهي إلى الحب أو التذوق.

ج. الصبر والأناة: فالتذوق عادة يستغرق وقتًا، لذلك يجب أن نتذرع بالصبر والأناة حتى تتفتح أبواب الاستمتاع أمام

الأطفال بطريقة طبيعية تؤدي بهم إلى التذوق السليم.

د. التأثر أو العدوى: ونعني بهذا التأثر بشخص آخر تتوفر لديه المهارة الفنية والحماسة والحكمة، مما يساعد الطفل على فتح مغاليق نفسه، والحماسة وحدها لا تكفي، بل لا بدّ أن تتوفر معها المقدرة والمهارة والكفاية الفنية.

هـ. الإخلاص: لهذا لا ينبغي للمربي أن يعالج من الموضوعات إلا ما يكون في مقدوره معالجته بإخلاص حقيقي، وما لم يكن هو نفسه محبًا للشعر مثلًا، فلا أمل في إثارة تذوقه عند النشء، كذلك الشأن بالنسبة للكاتب فيما يكتب. وأما بالنسبة للأطفال، فلا قيمة إلا للتذوق التلقائي الذي ينبع من إحساس الطفل الحقيقي ووجدانه الصادق، أما الافتعال والتصنع والتظاهر باالحماسة فلا تجدي في الوصول إلى التذوق الصحيح.

و. العناية بالمعنى: علينا أن نكون قادرين على أن نثير ميول الأطفال ونوجههم إلى كيفية الوصول إلى المعنى بأنفسهم، مع مقدرتنا على شرح صعوبات الكلام، واللبس إذا لزم الأمر.

ز. جهود الأطفال الابتكارية: كثيرًا ما يستطيع الأطفال بخبرتهم القليلة أن يكونوا مبتكرين بدرجة لا تخطر على بال، والتوجيه الرقيق الواعي لجهودهم الابتكارية في كتابة القصص والأغاني والتمثيليات القصيرة وما إلى ذلك يقدم مساعدة قيمة في عمليات استثارة تذوق الأطفال للأسلوب الأدبي.

ح. الكلية والشمول: أي أننا يجب أن نتذوق القصيدة أو القصة ككل حي متكامل، قبل أن نحللها إلى أجزاء، فإذا فعلنا هذا وجب أن نعيد تركيبها وعرضها موحدة من جديد، لنتذوق ما فيها من المعاني والحقائق والأخيلة وألوان الجمال. ويرتبط بهذا ألا نسرف في التعمق اللفظي المعقد، أو المناقشات الجانبية قليلة الأهمية في مجال التذوق، لأنها سرعان ما تقلل من ميل الناشئ إلى الأدب، فلا يستطيع إلى تذوقه سبيلًا، فيتحول إلى الأدب التافه، وينساق في تياره.

و. ازدياد الحاجة إلى التربية الإبداعية:

تعد العمليات الابتكارية والإبداعية صاحبة الفضل في تقدم الحياة وتطورها على مر العصور والأجيال. لهذا فإن أصحاب القدرات الابتكارية والإبداعية يكونون رأسمالاً قوميًّا وإنسانيًّا، يسهم في إثراء التراث البشري، وتقدم الإنسانية وازدهارها.

إذا كان هذا صحيحًا على مر العصور الماضية فإنه صحيح أيضًا في العصر الحاضر والعصور المقبلة. مع فارق أصيل هو أن حاجة كل فرد إلى التربية الابتكارية والإبداعية قد أصبحت أكثر إلحاحًا لخيره كفرد وللمجتمع ككل لأن المتغيرات السريعة المتلاحقة في عالم الغد، تحتاج من الفرد باستمرار إلى ابتكار حلول أصيلة ومتطورة لما يصادفه من مشكلات طارئة ومتجددة، كي يستطيع أن يحقق التكيف مع الظروف المتغيرة، ويكون أقدر على متابعة الحضارة الحديثة في مختلف المجالات، بأساليب

تكنولوجية مستحدثة قائمة على الرغبة في الإضافة والتجديد، في مواجهة المواقف الجديدة بمرونة كافية.

- **الباب الثاني: الوسائل المساهمة في عملية الإبداع:**

أ. الخيال وعلاقته بأدب الأطفال:

الخيال مكون أساسي من مكونات الإبداع، وهو أمر مهم للطفل، والسعي الجاد نحو تنمية خيال الطفل يعدّ ضرورة ملحة، وبخاصة في عالمنا المعاصر، نظرًا لما للخيال من دور في إحداث التقدم والتطور الذي تنشده المجتمعات، وبخاصة المجتمعات التي تريد أن يكون لها موقع بين مصاف الدول المتقدمة، وفيما يأتي عرض بعض القضايا ذات الصلة بالخيال والطفل:

الخيال والطفل: لقد وافق الخيال الإنساني منذ أن وجد على سطح الأرض، لذا فإن قصة الإنسان المديدة هي في نفس الوقت قصة الخيال، ما دام الخيال رفيق الإنسان، فالخيال رياضة ذهنية فطرية غرسها المولى عز وجل في نفس كل طفل ليستطيع من خلالها أن يتكيف مع العالم من حوله.

"والخيال في اللغة يقصد به إحدى قوى العقل التي يتخيل بها الأشياء بمعنى أن الخيال نشاط عقلي يمكن به تصور أشياء غير موجودة، وقد تكون هذه الأشياء قد حدثت في الماضي – كدراسة الأحداث التاريخية – أو ما يمكن أن تكون عليه في المستقبل"[34].

"إن خيال الطفل يجسد نفسه في سن مبكرة في قدرته على تكوين علاقات أو ارتباطات ذهنية جديدة بين الأشياء المألوفة على أساس خبرته السابقة: أي أن خيال الطفل في مرحلة مبكرة من حياته انعكاس إبداعي عن الواقع الذي يعيش فيه أو العالم المحيط به، وبه تتحدد قدرته على أن يوجد صورًا ذهنية مختلفة أو انطباعات عن أشياء متباعدة ومبعثرة"[35].

وهو بذلك يعد ضروريًّا للطفل، لأنه ينمي تفكيره باعتبار أن "الخيال يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالتفكير، ويؤدي إلى الإبداع الذي من شأنه أن يطور قدرة الطفل على إدراك المواقف والأحداث وتصور الحلول المتاحة للمشكلات التي تواجهه، بالإضافة إلى تصور ما سيكون عليه المستقبل، ومن ثم محاولة تحسينه، ولعل هذا هو الغاية الأساسية من التعلم، فالفرد يكون بوجه عام في حاجة إلى التكيف مع البيئة وتسخيرها لصالحه، فإذا استطاع الفرد إدراك المثيرات في بيئته والربط بين هذه المثيرات، ومن ثم الوصول إلى علاقات جديدة فيها وتخيل ما يمكن أن تؤدي إليه هذه العلاقات يكون قد وصل إلى مرحلة الإبداع"[36].

وبسبب هذا الدور الكبير الذي يلعبه الخيال في حياة الطفل، صنف الباحثون مراحل الطفولة مستندة إلى الخيال كالتالي:

- مرحلة الواقعية والخيال المحدود بالبيئة (من 3 – 5 سنوات).
- مرحلة الخيال المنطلق (من 6-8 سنوات).
- مرحلة البطولة (من 8-12 سنة).
- مرحلة المثالية (من سن 12-15 سنة).

"ونظرًا لأن طفل مرحلة الرياض يقع ضمن الفئة العمرية من سن 3 إلى 5 سنوات، فإنه ينتمي إلى مرحلة الواقعية والخيال المحدود بالبيئة، والتي يكون فيها خيال الطفل في هذه المرحلة حادًا، لكنه محدود في إطار البيئة التي يحيا فيها، كما يكون إيهامًا، فالأطفال في هذه المرحلة يمارسون عملياتهم العقلية الخيالية بأيديهم أو بأرجلهم أو بأصواتهم، وهم ميالون إلى القصص الواقعية الممزوجة بشيء من الخيال، وتكون شخصياتها من الحيوان أو الجماد ناطقة متحركة"[37].

كما أثبتت الدراسات أن "خيال الطفل يبدأ ساذجًا بسيطًا وطريفًا، ثم يأخذ بالتعقيد رويدًا رويدًا، فخيال الطفل يخضع لعملية نمو وارتقاء بفعل عملية النمو والارتقاء التي يمر بها الطفل في مجرى حياته على أساسها"[38].

ولأن قدرات الطفل الخيالية تنمو بصورة مستمرة، كان من الضروري أن يفتح الكبار جميع منافذ الخيال عند الأطفال في جميع مراحل عمرهم، وتهيئة جميع المستلزمات المادية لتحقيقه على أفضل وجه مع التشجيع والتوجيه والمشاركة والإشادة بجهودهم مهما كانت متواضعة، ما يحفزهم على بذل مزيد من الجهد وعلى توسيع أفقهم الثقافي وتطوير قدرتهم الإبداعية"[39]. فتنمية الخيال لدى الطفل واجب تربوي لأن الخيال هو غذاء العقل، وكلما استطعنا تشجيع الطفل على ممارسة الخيال ووجهناه في الاتجاه الصحيح، ساعدناه على تنمية قدرته على التفكير والتحليل وتوقع الاحتمالات.

نستخلص من ذلك أن تنمية خيال الطفل هو أمر من الأمور المهمة والضرورية لتنمية الإبداع لديه، ومن ثم فإن القصص بما تؤديه من وظائف عقلية ونفسية واجتماعية وأخلاقية، يمكن أن تؤدي إلى نمو خيال الطفل الذي يعد الدرجة الأولى على سلم الإبداع.

الطفل يفكر بلغة الكلام:

يبدأ الطفل السنين الأولى من حياته وهو لا يعرف إلا لغة الكلام، على حين تدخل لغة الكتابة في حياته مع بداية تعلمه القراءة والكتابة، عادة في حوالي السادسة، لكنه لا يصل إلى درجة معقولة من التمكّن في مجال استعمال هذه اللغة الجديدة إلا بعد عدة سنوات من الدراسة الجادة المستمرة. لهذا فإن اللغة المسموعة في مجال أدب الأطفال، تكون في حياة الأطفال أسبق من اللغة المكتوبة. وتظل منفردة بالسيطرة على هذا المجال سنوات جوهرية طويلة من حياة الطفل.

في هذه السنوات تبدأ صلة الأطفال بقصصهم الجميلة الشائقة من خلال صوت الراوي وتعبيراته ونبرات صوته التي يتفنن في استغلالها ليظل مستحوذًا على انتباه الطفل، الذي يبقى بدوره مشدودًا إلى ما في عالم القصة من متعة وخيال وجمال.

و"اللغة ليست مجرد ألفاظ وكلمات تكتب أو تقال، وإنما نجد أن لها علاقة كبيرة بالتفكير، بل إنها كما يقولون جوهر التفكير"[40]، حتى أن الإنسان إذا ما تأمل نفسه ووجدانه قد لا يستطيع أن يفكر تفكيرًا مثمرًا إلا إذا صاغ أفكاره في عبارات أو

جمل أو غيرها من وسائل التعبير كالرسم مثلًا، لكن استعمال اللغة في هذا الشأن هو الأساس الغالب.

إن اعتماد الطفل على لغة الكلام وحدها سنوات طويلة من حياته الأولى يترك في نفسه آثارًا معينة، بحيث يحدث ارتباطات خاصة بين تفكيره ولغة الكلام بحيث تكون هذه اللغة المسموعة أوثق صلة بفكره من اللغة المكتوبة عندما يبدأ في تعلمها.

يبرز دور بعض المؤسسات الاجتماعية المهمة (كالأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام) في تبصير الأطفال بتراثهم العربي الأصيل، وتهيئتهم التهيئة التربوية الصحيحة لكي يتعاملوا مع مستجدات العولمة والتغيرات الحديثة في عالمنا المعاصر بما لا يتنافى مع قيمنا وتقاليدنا، وفي الوقت نفسه لا يتهمنا الآخرون بالتخلف والرجعية وعدم قدرتنا على مسايرة العالم في أفكاره وابتكاراته وحضارته وتقدمه.

إذًا هناك صلة وثيقة بين اللغة والتفكير، ويتوقف التفكير إلى حدّ كبير على الصورة اللفظية البصرية والسمعية، كذلك على الكلام الباطن، لهذا فإن اللغة تمثل عونًا كبيرًا على التفكير، وعلى تنظيمه وتيسيره وتوضيحه.

كذلك نجد أن اللغة هي وسيلة تمثيل الأفكار، ونقلها بين أفراد الجنس البشري، وكلما زاد الثراء اللغوي، وتوفرت الكلمات المعبرة عن مختلف الأشياء والمفاهيم، زادت قدرة الفرد على التفكير والتعبير ونقل الأفكار، وأصبحت أكثر فعالية ودقة، ومن ثم فإن تقدم الفكر مرتبط أشد الارتباط بثراء اللغة، كما أن ضحالة اللغة وتخلفها، والفقر في الألفاظ، هي من العقبات الرئيسة في طريق التفكير ونموه ورقيه وتطوره"[41].

واستيعاب هذا الارتباط الوثيق بين اللغة والتفكير يوضح عمق أثر أدب الأطفال وتأثيره على كل من: اللغة التي يقوم الأدب بدور أساسي في غناها وثرائها، والتفكير الذي يمكن أن يقوم أدب الأطفال أيضًا بدور مهم في تنميته وتطويره، ودعم أسلوبه الصحيح بين الأطفال.

من هنا كان من الأهمية بمكان أن نتناول هذه المؤسسات الإجتماعية، مبينين ما لها من أهمية متمثلة في الأدوار التي تقوم بها، إضافة إلى توضيح دورها في توجيه أدب الأطفال وتشجيعه بما يمكن معه الإسهام الفاعل في بناء شخصيات متكاملة للأطفال، أطفال اليوم ورجال المستقبل.

ب. دور الأسرة في تنمية الإبداع:

إن الطفل الصغير كائن حي يعيش في مجتمعَيْن، أحدهما صغير، والآخر كبير، يتأثر ويتفاعل معهما، أما المجتمع الأول فهو الأسرة، وأما الثاني فهو المجتمع بكل مؤسساته وأجهزته وقطاعاته.

وإذا كان هذا الكلام ينطبق على الدول بعامة، فهو أكثر انطباقًا على الدول العربية التي يكثر فيها عدد الأطفال، والتي ينبغي عليها أن توفر الرعاية السليمة لأبنائها لكي ينشئوا النشأة الصحيحة التي تمكنهم من التفوق والتميز ومواكبة التغيرات السريعة التي فرضت نفسها على العالم اليوم، والتي

أصبح لزامًا على الجميع أن يهيء أبناءه لذلك.

ولعل أهم مؤسستين تتعاملان مع الطفل، وبخاصة في سنين حياته الأولى، الأسرة والمدرسة، الأسرة باعتبارها الجماعة الأولى أو المؤسسة التربوية الأولى في تنشئة الطفل، والمدرسة باعتبارها المؤسسة التربوية البديلة والمؤقتة للطفل، والتي نشأت الحاجة إلى وجودها كنتيجة طبيعية وحتمية للتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي حدثت في المجتمع.

يقول ابن منظور: أسرة الرجل: عشيرتُه ورهطهُ لأنه يتقوى بهم، والأسرة عشيرة الرجل وأهلُ بيته.

والأسرة إما أن تكون مصدر فخر واعتزاز لأبنائها، وإما أن تكون مصدر ذم وهجاء، تكون مصدر فخر واعتزاز حينما يكون لهذه الأسرة مكانتها ودورها في تربية أبنائها والوصول بهم إلى المعالي، وصدق الشاعر النميري[42] حينما قال:

لَهُ أُسْرَةٌ أَكْرِمْ بِهَا خَيْرَ أُسْرَةٍ
لِعِزِّ المَعَالِي وَالمَفَاخِرِ وُرِّثِ

وتعدّ الأسرة أساس المجتمع وقلبه النابض، فإذا صلحت الأسرة صلح المجتمع وعاش أفراده حياة كريمة منتجة وفاعلة، ولذلك يقع عليها العبء الأكبر في تربية الإنسان، والتربية بمفهومها الشامل تعنى بتربية الإنسان تربية متكاملة في أخلاقه وجسمه وسلوكه وروحه وضميره، والأسرة هي المؤسسة الأولى الاجتماعية والتربوية التي تستقبل الطفل وتحتضنه وتعمل على تنشئته ونموه.

الأهمية التربوية للأسرة:

تقوم الأسرة بدور حيوي في تحديد نمط سلوك الأجيال المتعاقبة من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية لأبنائها، إذ إنها ومن خلالها تنقل لهم ما تتمسك به من تقاليد وعادات ومعتقدات، كما تغرس فيهم قيمها وصفاتها وأنماطها السلوكية والاجتماعية، فالطفل ككائن اجتماعي يكتسب عاداته وخصائصه وسلوكه من الجماعات التي ينتمي إليها، والتي ترعاه وتعمل على إشباع حاجاته، والأسرة أصغر بيئة تربوية مسؤولة عن تربيته، وتنشئته وتوفير احتياجاته المادية والنفسية والاجتماعية، وهي المؤسسة التربوية الوحيدة التي يستمد منها الطفل الحب والأمن والحنان.

إن الأسرة هي التي تصنع الطفل، وهي العامل المؤثر في حياته وهي المسؤولة الأولى عن إشباع حاجاته النفسية والمادية والمعنوية، وفي داخل الأسرة تتم عملية الصقل الاجتماعي، وليس لأية جماعة أو هيئة أو مؤسسة قائمة في المجتمع من قوة نفوذ على الطفل تفوق قوة الأسرة في أثرها الاجتماعي.

الأسرة وتوجيه أدب الأطفال وتشجيعه:

الأسرة هي المدرسة الأولى التي ينهل منها الطفل معارفه، وهي صاحبة الميلاد الأوّل (البيولوجي) وهي صاحبة الميلاد الثاني (تكوين شخصية الطفل الثقافية والاجتماعية)، حيث تبذر فيه بذور الثقة بنفسه وبناء شخصيته، وهي بذلك تهيئه للحياة في المجتمع ابتداءً بالعلاقات المنظّمة مع الآخرين وانتهاءً ببناء

الاتجاهات عنده، وفي مقدمة هذه الاتجاهات اتجاه تزويد الطفل بإطار ثقافي وقيمي، يسهم في بناء شخصية سوية، والأسرة هي الأساس الأول لتكوين المجتمع المثالي المثقّف، والثقافة ليست مسؤوليّة فرد أو جماعة بعينها بل مسؤوليّة أمّة، والمؤسف أنّ الاهتمام بتثقيف الصغار يحتل مرتبة أقل مما يجب بكثير، فالاعتماد على المدرسة أو وسائل الإعلام فقط لا يغني عن دور الأسرة الرئيس فيما يتعلق بالتنشئة الثقافية إذ يجب أن تنفق الأسرة على صغارها في تعليمهم وتثقيفهم بمستوى الإنفاق على الطعام والشراب والملبس.

يمكن أن تستخدم الأسرة الأجناس المختلفة لأدب الأطفال في تحقيق النمو الشامل لشخصيات أبنائها الأطفال، فيمكنها من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأدب الهادف أن تُكسِب الطفل المعلومات والأحكام، والقيم، فَيَعرف الحق والباطل، والخير والشر، ورحم الله ابن القيم حين قال: فمن أهمل تعليمَ ولدِهِ ما ينفعه، وتَرَكَهُ سدى، فقد أساء إليه غاية الإساءة.

وما أجمل أن تزود الأسرة أبناءها بأنواع قيمة من الكتابات الأدبية والعلمية والثقافية من قصص وحكايات ومسرحيات وأناشيد، وطرائف وألغاز، وغير ذلك من الأنواع الأخرى لأدب الأطفال.

وفي الوقت الذي تؤكد فيه أهمية أن توجه الأسرة أدب الأطفال الوجهة التي يمكن معها توظيف هذا الأدب في تكوين الشخصية المتكاملة للأطفال، لنؤكد كذلك على دور الأسرة في تشجيع أدب الأطفال، وتشجيع أبنائها على القراءة والاطلاع واقتناء الكتب والقصص والحكايات والأشعار التي تحثّهم على مكارم الأخلاق، وتكسبهم المعارف والمعلومات، وفي هذا الصدد نوصي بما يأتي:

أ. تزويد الطفل بمجموعة من الكتب والقصص والحكايات والأشعار، لتكون أساسًا لإنشاء مكتبة صغيرة للأطفال في المنزل، تسمى مكتبة الطفل، يقوم الطفل بتنظيمها، والحفاظ عليها، وترتيبها بما يتناسب مع صفاته وخصائصه، ويمكن لولي الأمر أن يساعد طفله في إنشاء هذه المكتبة وتنظيمها، وتخصيص جزء من الحياة العادية للأسرة للقراءة والكتاب، وتخصيص جزء كذلك من ميزانية الأسرة لشراء ما يناسب من كتب وقصص ومجلات.

ب. اصطحاب الأطفال إلى المكتبات العامة، وتوجيههم إلى معرفة الكتب والقصص التي تضمها هذه المكتبة.

ج. تشجيع الأطفال على القراءة المستمرة، وتنمية ميولهم نحوها من خلال التقدير المادي والمعنوي من جانب الوالدين، وتلعب القدرة دورًا كبيرًا في ذلك.

د. طرح مجموعة من الأسئلة على الطفل ومطالبته بالإجابة عنها من خلال توجيهه إلـى قراءة أحـد الكتب، أو القصص التي تتضمن الإجابة عن السؤال المطروح.

هـ. تعريف الطفل بالمواقع الخاصة بالطفل والمنتشرة على شبكة الإنترنت، ومساعدته في التعامل مع هذه المواقع.

و. أن يسمع الوالدان للطفل وهو يقرأ القصة أو أي كتاب، لأنه يتمتع باستماع والديه لما يقرأ.

ز. أن يكون الوالدان على صلة مستمرة بالمدرسة ليتعرَّفا عادات أطفالهم في القراءة.

إذًا يمكن القول إن الأسرة الواعية المثقفة توجه أدب الأطفال الوجهة التربوية الصحيحة التي من شأنها أن تسهم في بناء شخصية متكاملة سوية للأطفال، من النواحي الجسمية والعقلية والنفسية، ولن يتأتى ذلك إلا إذا كان هناك اقتناع تام من جانب الأسرة بأهمية الدور الذي يمكن أن يؤديه أدب الأطفال في تحقيق النمو المتكامل لشخصيات الأطفال، من النواحي العقلية والنفسية والعاطفية والخلقية.

ج. دور المدرسة في تنمية الإبداع:

المدرسة هي المؤسسة الرسمية التي اعتمدها المجتمع وكفلها خصيصًا لعملية التنشئة الاجتماعية، وإعداد النشء للحياة، والتفاعل مع المجتمع، ومواجهة تحديات المستقبل من خلال عمليات التعلم والتعليم، ونقل التراث الثقافي من جيل إلى جيل، واكتساب أنماط السلوك، وتعليم التفكير، وتكوين العادات والاتجاهات الاجتماعية والقيم والمثل المنشودة، وتدريب النشئ على الطرق والأساليب التي تساعدهم على تنمية استعداداتهم ومهاراتهم، واستثمار طاقاتهم إلى أقصى ما يمكنها الوصول إليه.

"وتعد المدرسة حلقة وسطى بين الأسرة بنطاقها الضيق، والحياة الاجتماعية بزخمها ونطاقها الواسع الممتد، كما أنها تستقبل الطفل صغيرًا في طور النمو والطواعية والاستعداد للتشكل، لتؤهله ناضجًا قادرًا على مواجهة هذه الحياة بمواقفها المعقدة ومشكلاتها المتعددة وطبيعتها المتغيرة"[43].

تعدّ المدرسة أداة مكملة للأسرة لأن تربية الناشئ تبدأ في أحضان أبويه يلقنانه مبادئ اللغة ومفاهيم الحياة الاجتماعية وأساليب التعايش مع البيئة والتفاعل مع الناس، لذلك لا بد من إقامة تعاون سريع بين المنزل والمدرسة. ويشكل المناخ المدرسي الإطار الذي ينمو فيه الطفل من بعد الأسرة، حيث يكتسب منه خبراته، وينهل معارفه، ويمتصّ قيمه واتجاهاته وأنماط سلوكه، ومن ثم فإنه يؤثر تأثيرًا لا يمكن تجاهله أو إغفاله على شخصية الطفل، فإذا كان المناخ صحيًا سليمًا مشبعًا بالفهم والتقدير المتبادل، وقيم العدالة والحرية والمساواة والإخاء، قائمًا على المشاركة الجماعية والتعاون والاحترام، مشجعًا على التفكير الناقد والإبداعي، وفي الوقت ذاته كافلًا للضبط والالتزام وتحمل المسؤولية، فلا شك في أن مثل هذا الجو سيساعد في تنشئة الطفل التنشئة السليمة، فضلًا عن نمو شخصيات متكاملة ومتزنة ومتوافقة نفسيًا.

المدرسة باعتبارها المؤسسة الاجتماعية النظامية هي التي تقوم بعملية التربية، التي لم تعد من المسائل العلمية أو العملية الغامضة، فقد أصبحت من أوضح القضايا في متعلق العلم، فالعناصر التربوية في الحياة المدرسية لها أكبر الأثر في تكوين الشخصية، وتشكيل هويتها، فالطفل في عالمنا المعاصر يقضي الشطر الأكبر

والمهم من حياته في أجواء المدرسة، فهو يبدأ حياته في أحضانها، ومنذ دور الحضانة ورياض الأطفال يتدرج في مراحل حياته بين المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية والجامعة. فهو يقضي حياة الطفولة والمراهقة والشباب في نظام حياتي مخطط ومصمم وفق أسس وأهداف ومنهج محدد.

دور المدرسة في توجيه أدب الأطفال وتشجيعه:

المدرسة هي البيئة الثانية للطفل وفيها يقضي جزءًا كبيرًا من حياته يتلقى فيها صنوف التربية وألوانا من المعرفة والعلم، فهي عامل جوهري في تكوين شخصية الفرد وتقدير اتجاهاته وسلوكه وعلاقاته بالمجتمع الأكبر، وهي المؤسسة الاجتماعية الرسمية التي تقوم بوظيفة التربية ونقل الثقافة المتطورة.

إن ما تقدمه المدرسة لتلاميذها من مقررات ومناهج مدرسية ما هو إلا نوع من أنواع الأدب، تقدمه بغية تحقيق أهداف متنوعة، ووجدانية ومهارية، وكأنها في ذلك تلتقي مع الأدب (أدب الأطفال) في هذه الأهداف، والسعي الجاد نحو ترجمتها إلى واقع فعلي داخل قاعات الدرس.

والمدرسة تستطيع أن توجه الأدب وتشجعه من زاويتين أساسيتين:

الزاوية الأولى: من خلال استقطابها لكثير من الأعمال الأدبية المتميزة لأدباء وكتّاب مشهورين، فتقدمها إلى التلاميذ كمادة دراسية، وهي بذلك تحفز الأدباء والكتّاب الذين يكتبون للأطفال بتطوير كتاباتهم حتى تكون موضع اختيار وتقدير من القائمين على أمر المناهج المدرسية، إضافة إلى رصدها للجوائز المالية، وشهادات التقدير للمبدعين من الكتاب والمؤلفين.

الزاوية الثانية: تشجيع التلاميذ أنفسهم على الكتابة، والتعبير عما يدور في عقولهم أو وجدانهم بلغة سهلة بسيطة، وتوجههم التوجيه الصحيح، مع تخصيص الجوائز المالية والمعنوية وشهادات التقدير للأعمال المتميزة، ونشرها في المجلات الحائطية، أو تقديمها في إذاعة المدرسة.

يقتصر عمل الكثير من المدارس على تزويد الأطفال بالمعلومات المنهجية في نواحي العلوم والفنون والآداب المختلفة، وهذا يمثل قصورًا كبيرًا في قيام المدارس بدورها في تنشئة الصغار؛ لأنها تغفل أمرًا على درجة قصوى من الأهمية هو: تعلم واكتساب طريقة التفكير الصحيحة، بحيث يكون تفكير الفرد علميًا منطقيًا سديدًا، موضوعيًا بعيدًا من التعصب، أو المصلحة الشخصية والعوامل الذاتية.

وطريقة التفكير الصحيحة هي عادة معرفية لها قيمة كبيرة في التقدم البشري، وهي من أهم ما يجب أن يركز عليه المشتغلون في ميادين التربية والتعليم.

وتستطيع الكتب المدرسية – باعتبارها من أهم قطاعات كتب الأطفال – أن تنمي قدرتهم على الإبداع إذا راعت أمورًا منها:

أ. عرض المادة بتسلسل منطقي.

ب. عرض بعض المادة عن طريق أسئلة ومشكلات تثير قدرات الطالب على الحل والبحث والدراسة.

ج. ألا تقتصر التمارين على أسئلة الاستدعاء والتذكر، بل يجب أن تتضمن أسئلة عن تحليل المواقف وإعمال الفكر، وأسئلة تقتضي من الطالب أن يعرض رأيه، ويدافع عنه ويبرره، ويبرهن على صحته.

د. أن تتضمن المادة – كلما أمكن – عرضًا لبعض المواقف التي يتضح فيها إبداع العلماء وقدرتهم على الابتكار، وأساليبهم في حل المشكلات، وفي التفكير العلمي وما إلى ذلك.

هـ. أن تصاحب المادة المكتوبة الصور والخرائط التوضيحية الجذابة المناسبة.

و. أن تشجع الكتب المدرسية الطالب على التعلم الذاتي.

ز. أن تتضمن المستحدثات العصرية المناسبة في مجال المادة الدراسية "[44].

وأدب الأطفال الناجح يحبب الأطفال في الكتب والقراءة، وكل أوعية العلم والمعرفة الحديثة، ويحقق الألفة بينها وبين الأطفال.

وللمعلم دور مهم في تشجيع كتابة الطالب الإبداعية بوسائل عدة، منها:

أ. الدفتر الشخصي:

يتمثل الإبداع أصلًا في الكتابة الحرة خارج الصف، وبدوافع ذاتية داخلية، يكتب التلميذ إبداعه في دفتر شخصي، قد يُطلع معلمه أو زملاءه على محتواه وقد لا يطلعهم. وفي هذا الدفتر يكتب التلميذ النوع الأدبي الذي يستهويه، كقصة واقعية عاشها، أو خيالية نسج أحداثها بنفسه، أو قصيدة نظمها، أو خلجات وخواطر يجد متنفسًا في البوح بها.

ب. فرص الكتابة الإبداعية في الصف:

على الرغم من أن الكتابة الإبداعية تتم أساسًا خارج الصف، فإنه قد تتوفر بعض الفرص في الصف لتشجيع الإبداع، كوقوع حادثة مؤثرة، أو مرور الصف بتجربة جمالية معينة، كمشاهدة منظر يثير الإعجاب أو فيلم أو رسم أو سماع قصة أو قصيدة وغيرها. وعلى المعلم أن يكون عونًا للتلاميذ إذا طلبوا الكتابة في أحد هذه المواضيع.

ج. منابر لتشجيع الإبداع:

حلقات للكتابة الإبداعية وأخرى للتمثيل (تشجيع الحواريات والمسرحيات، وتمثيل الملائم منها).

قراءة نتاج التلاميذ في الصف أو في اللقاءات.

جريدة الصف أو المدرسة.

الإذاعة المدرسية.

د. ساعات الإرشاد:

من الضروري تخصيص أوقات محددة يتلقى فيها التلاميذ الراغبون إرشادًا شخصيًا من المعلم، فيتباحث معهم في سبل رفع مستوى كتابتهم، دون أن يُملي على التلميذ ذوقه في النوع الأدبي أو الأسلوب. كما يستطيع المعلم اختيار بعض هذا النتاج، بشرط موافقة أصحابه، لإفادة تلاميذ آخرين في الصف، أو في ساعات الإرشاد"[45]. قد يخشى بعض المعلمين من إبداء الملاحظات حول كتابات الطلاب

الإبداعية، لأن ذلك حسب اعتقادهم قد يكون عملًا غير موضوعي وغير عادل؛ لذلك يمكن جعل الطلاب يقومون بقراءة أعمال بعضهم البعض وإبداء الملاحظات حولها، وذلك يكون مفيدًا لكل من القارئ والكاتب. والكثير من الأطفال يتقبلون الملاحظات من زملائهم أكثر من تقبلهم لملاحظات معلميهم.

نشر عمل الطالب الإبداعي أمر مهم جدًا، ويمكن نشر عمل الطالب في عدة مواقع مثل: النشرات الشهرية أو السنوية التي تصدر عن المدرسة ونشاطاتها، أو في مجلة الحائط. ويمكن تشجيع الطالب على نشر عمله في مجلات الأطفال، أو الصفحة الخاصة بالأطفال في الصحف. وعندما يرى الطالب عمله منشورًا، فإن ذلك يكون مصدر فخر له، وطريقة لمشاركة كتابته الإبداعية مع عائلته وزملائه. والنشر يزود الطالب بدافعية للقيام بالمزيد من مراجعة العمل والتصحيح اللازمة في الطباعة.

يتلخص دور المدرسة في توجيه أدب الأطفال وتشجيعه من خلال ما تقدمه للتلاميذ من مواد أدبية وعلمية وفنية وثقافية تسهم في تكوين الشخصية المتكاملة والسوية، إضافة إلى ما تقوم به من تقويم ما اكتسبه الطفل من عادات واتجاهات غير سليمة، مع تدعيم وتعزيز ما اكتسبه في أسرته من عادات واتجاهات سليمة، وتقوية الصفات الجيدة والعمل على إكساب الطفل صفات اجتماعية ومبادئ أخلاقية وعادات جديدة وسليمة.

الكتابات الإبداعية:

هي الكتابات التي يكتبها الأطفال، أو يسمعونها أو يطالعونها في الصحف والمجلات، وتطالعهم في المقالات الأدبية الوصفية الصادرة عن الوجدان، وهي تتناول الكتابات الصحفية، والتراجم الذاتية، وتراجم الشخصيات التاريخية، وأدب الرحلات، والأدب الوصفي والقصصي والأدب الإنشائي والمسرحي، وتحقيقًا لتنمية هواية الكتابة الإبداعية لدى الأطفال، ينبغي تدريبهم على كتابة خواطرهم، وتسجيلها ووصف ما تقع عليه أبصارهم من جمال طبيعي، ومواقف إنسانية، وتراجم ذاتية، فأدب الأطفال يعد من أقوى الوسائل لترقية وجدان الطفل، وتنمية قدراته التعبيرية والإبداعية، وربطه بأجمل ما في أشكال الإبداع اللغوي من نماذج تتخاطب مع الضمير والعقل والقلب والكيان كله، كما يحقق للطفل المتعة الفنية والقيمة التربوية، والحقيقة العلمية.

من ثم ينبغي أن تتبع أهمية الكتابة للطفل من جوهر اجتماعي ونفسي وإنساني وجمالي، حتى يمكن تكامل البنى النفسية والوجدانية والعقلية للمجتمع. وهذه الأشكال التعبيرية الفنية التي تكون الأساس الذي ينهض عليه عالم أدب الطفل تتنوع إلى نوعين:

أ- نوع يدور حول الطفل موضوعًا، وتوجهًا، واهتمامًا، ويُبرز أهم قضايا الطفولة، وهذا النوع يتعامل معه الكبار على أنه صدى لدراسات تربوية وإحساس مفعم

بحاجات الطفل واحتياجات عالمه روحيًا وثقافيًا واجتماعيًا.

ب- نوع يخاطب الطفل بلغته، وأساليبه، وخصوصيات أدب الطفولة، ويدور حول المتعة الفنية والجمالية التي يستشعرها، ويقدم للطفل عالمه البريء وخصائص مرحلته من خلال التوازن الأدبي اللغوي، وعالم الطفل ومرحلة نموه.

ت- "يقصد بالكتابة الإبداعية قيام التلاميذ بالتعبير عن أحاسيسهم، وخلجات نفوسهم، وانطباعاتهم، عما رأوه، أو سمعوه، أو اتصلوا به، تعبيرًا نابعًا من الوجدان، وأهدافها:

- تنمية قدرات التلاميذ التفكيرية.
- تعويد التلاميذ على الطلاقة في التعبير.
- تنمية الخيال لدى التلاميذ، وإفساح المجال لخيالهم في التعبير الهادف.
- توسيع خبرات التلاميذ ومعلوماتهم، وتنمية ثروتهم اللغوية.
- تدريب التلاميذ على جمع الأفكار، وترتيبها ترتيبًا مترابط العبارات.
- تدريب التلاميذ على الكتابة"[46].

د. دور وسائل الإعلام في تنمية الإبداع:

يعد موضوع الإعلام والاتصال من أهم الموضوعات التي تفرض نفسها على الساحة المعاصرة، فهو موضوع الساعة سواء أكان ذلك في علم الاجتماع أم علم النفس بفروعها المختلفة، بل اتسع الاهتمام فأصبح يتناول العلوم الإنسانية كلها، فالإنسان لا يعيش في الفراغ وشخصيته بمظاهرها المختلفة إنما هي نتاج تفاعل بين الفرد وبين المجتمع الذي يعيش فيه وأساليب الاتصال بمختلف مستوياتها وأنواعها من أهم العوامل المؤثرة في أي مجتمع.

إن التقدم الذي شهدته وسائل الإعلام والاتصال في العصر الحالي، يؤكد على أهمية دورها في حياة المجتمعات، حيث أصبح لهذه الوسائل قدرة السيطرة على الأفراد والتأثير فيهم، حول مختلف القضايا المهمة وخلق رأي عام حولها.

إن الإعلام هو أسلوب من أساليب الاتصال بالجماهير يقوم على تزويد الناس بالحقائق الثابتة والأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة، وإذا كان للإعلام أهميته للأفراد بصرف النظر عن أعمارهم وثقافاتهم، فهو أكثر أهمية للأطفال، نظرًا لتأثيره البالغ في شخصياتهم، لما يتمتع به من وسائل جذب وإثارة.

وتعد وسائل الإعلام بعدما حدث من ثورة تكنولوجية هائلة في وسائل الاتصال إحدى أهم العناصر المكونة لفكر الأطفال وميولهم واتجاهاتهم، وتلعب وسائل الإعلام دورًا تربويًا كبيرًا في المجتمع، وتأثيرها يشمل جميع المستويات في مختلف المراحل العمرية، حيث تستأثر بنصيب وافر من وقت الأسرة. لقد شاركت وسائل الإعلام غيرها من المؤسسات التربوية في القيام بعملية التنشئة والتغيير الاجتماعي وغرس القيم المرغوبة، والإعلام بهذا المعنى جزء من وسائل التعليم غير النظامي، لأنه يقدم من خلال برامجه دروسًا مليئة بالقيم والأفكار وأنماط السلوك التي تؤثر في أفكار

الأفراد واتجاهاتهم ومواقفهم في الحياة بما يفوق أحيانًا أجهزة التعليم النظامي التقليدي.

وإذا كان لوسائل الإعلام تأثيرها الملحوظ في أفراد المجتمع كافة، فإن هذا التأثير يكون أكثر أهمية وخطورة في شريحة مهمة من شرائح المجتمع، ألا وهي شريحة الأطفال، نظرًا لما تقوم به هذه الوسائل في عمليات التنشئة للأطفال، وأيضًا في إكسابهم القيم والسلوكيات والاتجاهات الإيجابية نحو مجتمعهم، ونحو المبادئ السامية الأصيلة. ولها أهمية كبيرة لاعتبارها من أهم وسائل الاتصال، وبخاصة للأطفال، إضافة إلى خطورة الأدوار التي يمكن أن تقوم بها، والتي تسهم بدرجة كبيرة في بناء شخصية الأطفال، ويمكن توضيح هذه الأدوار فيما يلي:

أ. إحداث التنشئة الاجتماعية للأطفال.

ب. التوجيه وتكوين المواقف والاتجاهات.

ج. زيادة المعرفة والوعي الثقافي وتنمية القدرات العقلية.

د. تنمية العلاقات البيئية وزيادة التماسك الاجتماعي.

هـ. الترفيه وتوفير سبل التسلية وقضاء أوقات الفراغ.

و. الإعلان والدعاية.

إحداث التنشئة الاجتماعية للأطفال: بأن تجعل الطفل واعيًا بالقيم والمهارات الاجتماعية من حوله، وأن تكسبه الحساسية اللازمة التي تمكنه من التفاعل مع المجتمع المحيط به، بهدف الوصول إلى نمو سوي يتحقق فيه استقرار منظومة القيم التي يعيشها المجتمع داخل نفسية الطفل، إضافة إلى إكساب الأطفال تصرفات وسلوكيات ومعايير تتناسب مع أدوار اجتماعية محددة يستطيعون من خلالها مسايرة المجتمع والتكيف معه.

التوجيه وتكوين المواقف والاتجاهات وغرس القيم: إن أحد المتطلبات الأساسية للطفل العربي هو إيجاد معيار لدى هذا الطفل يحكم به على الأشخاص والأفعال والأشياء، وتكوين إطار مرجعي يحتكم إليه، ويسترشد به في التمييز بين الصواب والخطأ، بين ما هو مرغوب وما هو غير مرغوب من أنماط السلوك في مجتمعه، والاتجاهات الإيجابية والاتجاهات السلبية.

وتعد القيم جزءًا مهمًا في الإطار المرجعي للسلوك في الحياة العامة، وفي مجالاتها المختلفة دينيًا وعلميًا واجتماعيًا واقتصاديًا وسياسيًا وفنيًا، بل هي بصفة عامة موجهات السلوك أو العمل.

وتعد المعارف أحد المكوّنات الأساسية للقيم، إلا أنها لا تكفي لتكوينها وغرسها في نفس الطفل، لذا ينبغي النظر بعين الاعتبار إلى أمرين:

- أولهما: ما تحمله المعلومات المقدمة للطفل من قيم واتجاهات.
- والآخر: مدى فعالية وسائل الاتصال بالأطفال وأساليبه وقدرتها على التأثير فيها، وعلى تثبيت القيم المرغوبة في نفوسهم.

إن من أهم الأدوار التي يمكن أن تقوم بها وسائل الإعلام بأنواعها المختلفة، التوجيه وتكوين المواقف والاتجاهات، من

خلال ما تعرضه أو تقدمه للأطفال من قصص وبرامج وتمثيليات.

زيادة المعرفة والوعي الثقافي وتنمية القدرات العقلية: تعد المعرفة في شتى مجالاتها، ومختلف جوانبها الدينية والاجتماعية والاقتصادية، من أهم متطلبات تشكيل الوعي الثقافي للطفل، فالمعرفة تسهم في تحقيق حالة الوعي الإيجابي الواقعي بكل ما حولنا من قوى فعالة كي ننجو من الاستلاب، والوعي هو أداة المواجهة الدائمة لتحصين الذات ضد التيارات المناهضة لطبيعتها.

دور وسائل الإعلام في توجيه أدب الأطفال وتشجيعه:

في ظل عصر تتلاشى فيه الحدود الثقافية بين الدول، وفي ظل ثورة علمية تكنولوجية واسعة تلعب وسائل الإعلام دورًا كبيرًا في بناء الطفل ثقافيًا ودينيًا واجتماعيًا، مما ينبغي معه التأكيد على الدور الذي يمكن أن تؤديه وسائل الإعلام في توجيه أدب الأطفال وتشجيعه.

وتنص المادة (17) من اتفاقية حقوق الطفل، التي اعتمدت وعرضت للتوقيع والتصديق بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة 44\25 المؤرخ في 20 تشرين الثاني (نوفمبر) 1989، والتي بدأ في تنفيذها في 2 أيلول (سبتمبر) 1990، وفقًا للمادة 49، على أن الدول الأطراف تعترف بالوظيفة العامة التي تؤديها وسائط الإعلام وتضمن إمكانية حصول الطفل على المعلومات والمواد من شتى المصادر الوطنية والدولية، وبخاصة تلك التي تستهدف تعزيز رفاهيته الاجتماعية والروحية والمعنوية وصحته الجسدية والعقلية، وتحقيقًا لهذه الغاية تقوم الدول الأطراف بما يلي:

أ. تشجيع وسائط الإعلام على نشر المعلومات والمواد ذات المنفعة الإجتماعية والثقافية للطفل وفقًا لروح المادة 29.

ب. تشجيع التعاون الدولي في إنتاج وتبادل ونشر هذه المعلومات والمواد من شتى المصادر الثقافية والوطنية والدولية.

ج. تشجيع إنتاج كتب الأطفال ونشرها.

د. تشجيع وسائط الإعلام على إيلاء عناية خاصة للاحتياجات اللغوية للطفل.

هـ. تشجيع وضع مبادئ توجيهية ملائمة لوقاية الطفل من المعلومات والمواد التي تضر بصالحه، مع وضع أحكام المادتين 13 و18 في الاعتبار.

وفي ضوء نصّ هذه المادة، وفي ضوء الأهمية التربوية لوسائل الإعلام المختلفة، وبخاصة بالنسبة للأطفال، فإن المسؤولية التي تقع على كاهل وسائل الإعلام وعلى القائمين عليه في توجيه أدب الأطفال وتشجيعه لكي يحقق أهدافه مسؤولية خطيرة، فوسائل الإعلام المختلفة، المقروءة والمسموعة يمكن أن تشجع أدب الأطفال وتوجهه الوجهة الصحيحة التي يمكن معها تحقيق الهدف الأساسي من تنشئة الطفل وتربيته، والمتمثل في بناء شخصيته بناءً متكاملًا وذلك على النحو الآتي:

وسائل الإعلام المقروءة: والمتمثلة في القصص والتمثيليات والمسرحيات ودواوين الشعر والكتب والمجلات المطبوعة التي كتبت خصيصًا للأطفال يمكن أن تكون

وسيلة فاعلة في تحقيق الهدف المنصوص عليه، وذلك بشرط توافر مجموعة من المعايير المتصلة بالشكل والمضمون في هذه الأعمال المطبوعة، وبشرط أن تتناسب هذه الأعمال مع الخصائص العقلية والنفسية للأطفال.

ويمكن لوسائل الإعلام المقروءة أن تسهم بشكل مباشر في توجيه أدب الأطفال وتشجيعه، وتشجيع كتّابه ومبدعيه، من خلال تحري الدقة في اختيار الأعمال الأدبية والعلمية والفنية التي تقدم للأطفال، وتقديمها في شكل جذاب، يثير رغبتهم في القراءة والاطلاع، ويبعث فيهم حب الكتاب ومؤلفه، إضافة إلى رصد الجوائز المادية والتقديرات المعنوية وشهادات التقدير للمبدعين من مؤلفي ومصممي ورسامي أدب الأطفال.

كما أن الإعلام المقروء يمكن أن يؤدي أدوارًا مهمة لأدب الأطفال، من بينها:

أ. تزويد الأطفال بكم هائل من المعارف والمعلومات التي تسهم في بناء إطارهم المعرفي، وتزد من وعيهم الثقافي.

ب. تنمية الحساسية تجاه الجمال والقيم الرفيعة والتقاليد العريقة.

ج. تنشيط الوجدان واستثارته للإحساس بكل ما يطرحه الآخرون من قضايا ومشكلات، وما ينبت في الطبيعة من مواطن للجمال.

د. تنمية القدرة الذهنية والوجدانية والحسية، وذلك دعمًا لحسن التقدير، وإصدار الأحكام الجمالية، وسلامة النظرة النقدية القائمة على التذوق الفطري.

هـ. تنمية الخيال وتوظيف الحواس، بما يعمق الحس تجاه اللغة والأشياء ومواطن الخلق والابتكار والإبداع.

و. تنمية القيم الروحية والقيم التربوية الصحيحة وتربية العادات الاجتماعية والاقتصادية والسلوكية، بما يتفق ومطالب الجمال، وبما ينتظره الآباء والأمهات والمعلمون من استجابات.

ز. استثارة الدوافع الداخلية للقيام بأنشطة عملية ووجدانية للتوصل إلى الإحساس بالتوافق والتوازن والرضا التام.

وسائل الإعلام المسموعة: تتميز الإذاعة بأنها وسيلة متميزة في التعبير بالصوت، لذلك فهي تستعمل كل ما يصل إلى الأطفال عن طريق السمع، لمؤثراتها الصوتية والموسيقية والمقدرة االتمثيلية، ونبرات الصوت وما يتصل بهذا من االقدرة على تقديم أصوات الحيوانات والطيور والصور الصوتية المختلفة في البرامج الخاصة بالأطفال.

لكن لوسائل الإعلام المسموعة أن تؤدي دورًا متميزًا في مجال أدب الأطفال وتوجيهه وتشجيعه، حيث يمكن عن طريق النص الجيد، وحسن استغلال الإمكانات الإذاعية أن نصل إلى استثارة خيال الطفل، بما يجعله يعيش في أحداث البرامج الإذاعية وسط خياله التوهمي، الذي قد لا يتاح للطفل الذي يشاهد التلفاز.

وفي هذا الصدد نشير إلى أن المادة التي تقدمها الأجهزة الإذاعية متعددة ومتنوعة، منها: الأناشيد والمسلسلات والتمثيليات والمسرحيات والمواد الفكاهية

كالنوادر والقصص الفكاهية والإعلانات الموزونة المقفاة والملحنة، ولذلك ينبغي أن تتوافر في هذه المادة المقدمة مجموعة من المعايير منها:

أ. ضرورة التدقيق في اختيار المادة التي تقدم للأطفال من خلال الإذاعة، بحيث تكون مناسبة للطفل، ومما يقع في دائرة ميوله.

ب. أن تكون المادة المقدمة صحيحة ودقيقة ومعلوماتها صادقة.

ج. العناية باللغة المقدم بها أدب الطفل، وذلك من حيث كونها لغة عربية سليمة، مناسبة لمستوى الأطفال، منطوقة نطقًا صحيحًا من النواحي الصوتية والصرفية والنحوية.

د. استثمار المؤثرات الصوتية والموسيقية والتعبيرية، عند تقديم المحتوى الأدبي للطفل كنبرات الصوت والصدى والموسيقى المصاحبة، ومساحات الصمت التي تتخلل الأداء وغير ذلك مما يسهم في توصيل المعنى للطفل، وشد انتباهه، وتعميق خبرته، وخلق مداخل مختلفة تتسلل منها المادة عبر وجدان الطفل ومداركه.

وسائل الإعلام المرئية: يعد الإعلام المرئي عنصرًا جذابًا للصغار والكبار على حد سواء، فهو يحول عبر أجهزته المختلفة الخيالات إلى حقيقة مرئية، وهو يحول القصص المحكية إلى صور متحركة، فيها نشاط فيها حيوية، ويستطيع أن ينقل الأطفال إلى أماكن لا يمكنهم الوصول إليها، مثل عالم البحار والغابات.

ونظرًا لهذه الإمكانات المتوافرة لأجهزة الإعلام المرئية، فإنها يمكن أن تقوم بدور فاعل ومؤثر في توجيه أدب الأطفال وتشجيعه، بما يمكن معه تحقيق الأهداف المرجوة منه.

ويمكن لمعلم أدب الأطفال أن يستثمر الأجهزة المسموعة والمرئية بما لديها من إمكانات في تحقيق أهدافه، فيمكنه أن يوجه تلاميذه إلى الاستماع إلى المواد المقدمة عبر الإذاعة والتلفاز، وأن يزودهم بعادات ومهارات الاستماع الجيد والمشاهدة الجيدة، وأن يقدم لهم مبادئ نقد المواد التي يستمعون إليها أو يشاهدونها، وأن يطلب منهم كتابة ملخص لها أو ملاحظات عليها، وأن يقدر لهم ذلك بطريقته الخاصة حتى يحفزهم إلى متابعة هذه البرامج.

هـ. دور المكتبة في تشجيع أدب الأطفال:

المكتبة العامة يجب أن تكون بمثابة مدرسة من نوع خاص تؤثر في بناء الطفل والنفس وفي تكوين الشخصية، وإذا أردنا لها أن تكون كذلك فيجب أن يكون من أعمالها ما يلي:

أ. زاوية القصة.

ب. المعارض: إن مجموعة الكتب الموجودة في المكتبة تحتوي على أنواع من الكتب الواجب عرضها والإعلان عنها بإقامة المعارض أسبوعيًا أو شهريًا. وهناك المعارض التي تتعلق بمناسبة معينة حيث يتم الإعلان عنها مسبقًا وذلك عن طريق تتبع الأحداث والمناسبات التي تهم الأطفال ويكون العرض لفترة قصيرة وتعرض الكتب

في مكان خاص في المكتبة أو في أماكن أخرى معروفة للأطفال وهذا بالطبع توقف على حجم المعرض وقد لا تقتصر المعارض على الكتب فقط بل يعرض فيها أحيانًا نماذج ولوحات لها علاقة في موضوع المعرض.

ج. سماع القصة والموسيقى بهدف مساعدة الأطفال على تكوين شخصياتهم وإيقاظ شعورهم وتنمية أذواقهم.

د. الرسم ويعني تجهيز الأدوات اللازمة للاستعمالات في مادة الفن.

هـ. ألعاب مكتبية مثل المسابقات والأحاجي والألغاز.

و. التحدث عن الكتب التي أعجبت الأطفال.

ز. عرض أفلام سينمائية خاصة بالأطفال واهتماماتهم.

ح. دعوة بعض كتاب أدب الأطفال للتحدث عن كتبهم أو أي مواضيع تهم الأطفال.

ط. المسرح وتشجيع الأطفال على الاشتراك في التمثيل المسرحي.

ي. تكليف بعض الأطفال بقراءة قصة أو سردها بلغتهم الخاصة.

ك. العمل على إيصال الخدمة المكتبية إلى كل مكان بواسطة نظام الإعارة أو سيارة المكتبة المتنقلة في المكتبات العامة الكبيرة.

و. دور أدب الأطفال في تنمية الإبداع:

يمكن تعريف أدب الأطفال بأنه: "خبرة لغوية في شكل فني، يبدعه الفنان، وبخاصة للأطفال فيما بين الثانية والثانية عشرة أو أكثر قليلًا، يعيشونه ويتفاعلون معه، فيمنحهم المتعة والتسلية، ويدخل على قلوبهم البهجة والمرح، وينمي فيهم الإحساس بالجمال وتذوقه، ويقوي تقديرهم للخير ومحبته، ويطلق العنان لخيالاتهم وطاقاتهم الإبداعية، ويبني فيهم الإنسان.

كما يعرف أدب الأطفال بأنه شكل من أشكال التعبير الأدبي، له قواعده ومناهجه، سواء منها ما يتصل بلغته وتوافقها مع قاموسه الطفل، ومع الحصيلة الأسلوبية للسن التي يؤلف لها، أم ما يتصل بمضمونه ومناسبته لكل مرحلة من مراحل الطفولة، أم يتصل بقضايا الذوق وطرائق التكنيك في صوغ القصة، أو في فن الحكاية للقصة المسموعة"[47].

ويعرف أدب الأطفال بأنه في مجموعه هو: "الآثار الفنية التي تصور أفكارًا وأحاسيس وأخيلة تتفق ومدارك الأطفال وتتخذ أشكال القصة والمسرحية والمقالة والأغنية"[48].

وكتبت الأديبة الناقدة "ليئة غولدبرغ" عن أدب الأطفال بشيء من التفصيل، مضيفة عناصر ومقومات أخرى، فهي تعرف أدب الأطفال بأنه: "ذلك النوع من الأدب – نثرًا أو شعرًا – الذي يلائم في مضمونه وأسلوبه إدراك الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين الخامسة حتى الثالثة عشرة تقريبًا، أما أسلوب هذا الأدب فيكون سهلًا واضحًا خاليًا من التعقيد وحشد المشاكل، ولا يتجاوز المفاهيم المفهومة للطفل حسب نموه وقدرة استيعابه"[49].

يمكن أن نجد لأدب الأطفال في المرحلة العمرية التي يدور حديثنا حولها، مفهومين رئيسيين:

أدب الأطفال بمعناه العام: وهو يعني الإنتاج العقلي المدون في كتب موجهة لهؤلاء الأطفال في شتى فروع المعرفة؛ مثل: كتب الأطفال العلمية المبسطة، والمصورة، وكتبهم الإعلامية، ودوائر المعارف الموجهة إلى الأطفال.

أدب الأطفال بمعناه الخاص: وهو يعني الكلام الجيد الذي يحدث في نفوس هؤلاء الأطفال متعة فنية سواء أكان شعرًا أم نثرًا، وسواء أكان شفويًا بالكلام، أم تحريريًا بالكتابة؛ مثل قصص الأطفال ومسرحياتهم وأناشيدهم وأغانيهم وما إلى ذلك.

ومما تجدر الإشارة إليه أننا عندما نتحدث عن الكتب، إنما نقصد إلى معناها الواسع، بحيث تضم: المقروء، والمسموع، والمرئي، تماشيًا مع مقومات التقدم التقني المعاصر.

ويرى بعض الباحثين، أهمية التمييز بين النتاج الفكري عن الطفولة والنتاج الأدبي الموجه لهم. وينادون بإعادة النظر بين هذين النتاجين. ويرون أن أدب الأطفال له آثاره الإيجابية في تكوينهم، وبناء شخصياتهم وإعدادهم ليكونوا رواد الحياة.

والطفل هو الإنسان في أدق مراحله وأخطر أطواره، ومن ثم فإن الاهتمام بالجانب الوجداني من حياة الطفل يتعين ألا يعلوه أي اهتمام آخر، ويقوم أدب الطفل بوظائف التربية الجمالية والأخلاقية والنمو اللغوي... الخ"[50].

ما هو دور أدب الأطفال في مجالات الفكر والابتكار والإبداع؟

على هدى المفاهيم والأضواء السابقة نرى بوضوح أن لأدب الأطفال بألوانه وصوره المختلفة، دورًا كبيرًا واسع النطاق، يتجلى في أمور منها ما يلي:[51]

أن يدعم بقوة تربية الأطفال التربية الروحيّة الصحيحة: هذه التربية التي تدعم بدورها بناء شخصية الفرد السويّ، الذي يتّسم بالصفات التي تدعم الفكر والابتكار والإبداع، فهو الإنسان: القارئ، المفكّر المتأمل العامل الجادّ، الصابر المثابر، المدقق الذي يتقن عملَه، الذي يطلب العلم طول الحياة، الذي يعيد النظر في أفكاره وأعماله بهدف تقييمها وتطويرها، الذي يهتم بشؤون مجتمعه ومشكلاته، الذي تتسم تصرفاته بالموضوعية بعيدًا من الأهواء الشخصية.

وهذه وغيرها تمثل دعائم بناء الشخصية المتكاملة، التي تصل بالفرد إلى أعلى درجات الفكر والعلم والإبداع.

ويمكن لأدب الأطفال أن يعدّهم للحياة في عالم الغد، في القرن الحادي والعشرين، بمتغيراته وتكنولوجياته المتقدمة، ويلقي الأضواء أمامهم على ما ينتظرهم، ويحقق لهم التهيئة النفسية والوجدانية والعلمية والعملية، لاستقباله استقبالًا صحيًا، والحياة فيه بجدارة وكفاءة واقتدار.

وأدب الأطفال الخاص والعام بألوانه المختلفة، يقدم هنا لخدمة الحياة في مناخ المستقبل: المادة المعرفية والمعلومات، المهارات، الاتجاهات والقيم، مما يعين

الأطفال على التكيّف مع المستقبل، والتحلّي بالمرونة، والتفكير العلمي، والقدرات الابتكارية والإبداعية اللازمة لمواجهة المتغيرات الجديدة.

يقوم أدب الأطفال بدور في إثراء لغة الأطفال، واللغة كما رأينا وثيقة الصلة بالتفكير. كما أن تقدم الفكر ورقيه وازدهاره مرتبط أشد الارتباط بالنمو اللغوي.

تقوم القصص والمسرحيات والأغاني والأناشيد، وغيرها من ألوان الإنتاج الأدبي، بدعم القيم والصفات اللازمة لعمليات التفكير الابتكاري والإبداعي، مثل: دقة الملاحظة، الصبر والمثابرة، التفكير الجاد المستمر، تنمية الخيال، التفكير الناقد.

وألوان الإنتاج الأدبي المقدم للأطفال تصل إلى دعم هذه الصفات والقيم الإيجابية بوسائل شديدة الفعالية مثل:

التقليد والقدوة، الاستهواء، الانطباعات– الاندماج –التعاطف الدّرامي – التقمّص.

يقدم أدب الأطفال قصص العلماء والمخترعين وأهل الإبداع، ليتخذ الأطفال من حياتهم وسيرهم وتصرفاتهم نماذج وأمثلة تحتذى.

كما يقدم أنماطًا للتفكير المستهدف، ونماذج للتصرف السليم في مختلف المواقف، ومن خلال تصرفات الأبطال الذين يعجب بهم الطفل ويقدرهم، فيقلد تصرفاتهم ويتبنى أساليبهم من غير تردد، على أن يكون هذا مما يخدم أساليب التفكير العلمي، والتفكير الابتكاري والإبداعي.

تقوم كتب الأطفال التي تقدم لهم أنشطة عملية وفكرية بدور في القيام بعمليات التصنيف، واكتشاف المختل والمتشابه، والتدرّب على دقة الملاحظة، وابتكار الحلول، والخروج من المتاهة، وإكمال الصور والرسوم، وحل الأحاجي والألغاز وما إلى ذلك.

وأدب الأطفال في قصصه وبرامجه التليفزيونية والإذاعية وغيرها يتيح مواقف تستدعي من الأطفال: دقة الملاحظة والتأمل، والربط والتعليل، والاستنتاج، وحسن إدراك الأمور. وتشجع الرغبة في تفسير المسائل وحل المشكلات... كما أن القصص البوليسية، وبعض قصص المغامرات، قد تتيح الفرصة أمام الأطفال للربط بين المعلومات والوصول إلى استنتاجات مناسبة لاكتشاف الفاعل أو المتهم مثلًا، ثم عندما يتكشف الحل، يستطيع الطفل أن يقيّم ما توصل إليه من نتائج، عن طريق ما قام به من استدلال.

إن الكتب المدرسية هي جزء من صميم كتب الأطفال وأدب الأطفال، وهذه حقيقة تغيب عن الأذهان، وهي على قدر كبير من الأهمية؛ لأن الكتب المدرسية تمثل أهم قطاع من قطاعات الكتب التي يتعامل معها الأطفال، في كل مراحل نموهم، وفي جميع مراحلهم التعليمية.

وأدب الأطفال الناجح يحبّب الأطفال في الكتب والقراءة وكل أوعية العلم والمعرفة الحديثة، ويحقق الألفة بينها وبين الأطفال، وهذا في حدّ ذاته مكسب كبير، لأنه يمثل امتلاكًا لمفتاح من أهم مفاتيح الحياة

المستقبلية في عالم الغد، كما أنه يساعدهم على النضج، وعلى فهم النفس البشرية، واستيعاب الحياة بمقوماتها الجديدة المتغيرة.

وكحصيلة لكل هذا يمكن أن يسهم أدب الأطفال بدور قوي فعال في تكوين إنسان المستقبل، الفرد التقي، المفكر، المبتكر، المبدع القادر على التخطيط والتنفيذ، وعلى التصرف في مختلف المواقف، والتعامل مع مختلف الظروف، والذي يحسن اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب، في ضوء التفكير العلمي المتزن المتوازن، لخيره ولخير مجتمعه وأمته والإنسانية كلها.

عند إعداد مواد أدب الأطفال، أو عند تنفيذها يجب مراعاة الأمور التالية:

أ. وضع مادة أدب الأطفال على شكل مشكلات تستثير الطفل وتتحدى عقله، وتفتح المجال أمامه كي يفكر تفكيرًا علميًا، وتفسح المجال لخيال الطفل كي يتصور ويحلق في عالم مفارق لعالم الواقع.

ب. عرض مواد أدب الأطفال على أنها نتيجة تطور لا يقف عند حد، وعلى إتاحة التحري للعقل بعرض المقدمات ثم النتائج، وإفساح المجال أمام الطفل للتجريد من حالات متعددة، والدعوة إلى فحص البيئة بحثًا عن خبرات جديدة.

ج. تدريب الطفل على الاستماع الناقد والقراءة والمشاهدة النقادة، والترحيب بإبداء الرأي، والدعوة إلى التفسير والتعليل والموازنة بين الآراء والحقائق، وكشف العلاقات، والدعوة إلى استخدام الخيال، والمخاطرة العلمية المحسوبة للاكتشاف.

ز. أنشطة ومهرجانات لتنمية إبداع الأطفال:

إضافة إلى ما تم التطرق إليه خلال بحثنا هذا، من وسائل وأدوات تساعد في تنمية الإبداع عند الأطفال، بدءًا من دور الأسرة وأهميته متوقفين عند دور المدرسة والمعلم إضافة إلى وسائل الإعلام الحديثة ودور المكتبة والمسرح وكتب أدب الأطفال تتضافر هذه الأدوات جميعها إذا أقمنا مهرجانات ونشاطات ومسابقات خاصة بالأطفال لتنمية الإبداع لديهم وتشجيعهم.

في هذا البحث سأذكر عدة نشاطات تقام لهذه الغاية التي نسلط الأضواء عليها ومنها:

مهرجان الإبداع الطفولي الذي يقام في الأردن للسنة الثانية على التوالي وهو مهرجان شمولي للأطفال تقوم به مديرية ثقافة الطفل في وزارة الثقافة ويستند إلى فكرة دمج مشاريع وزارة الثقافة المعنية بالطفولة (مسابقة الإبداع الطفولي ومهرجان أغنية الطفل وورش ومخيمات الإبداع) التي كانت الوزارة تقوم بتنفيذهما سابقًا – بمشروع واحد شامل ومتكامل هو "مهرجان الإبداع الطفولي" وذلك لمحاولة خلق احتفالية ثقافية وفنية كبيرة للأطفال، تحتوي على فعاليات ومسابقات أدبية "شعر، قصة، خاطرة، مسرحية"، وأخرى فنية "أغنية طفل، مسرح طفل، رسومات أطفال". الفئة العمرية المستهدفة الأطفال من عمر ست سنوات وحتى ثماني عشر سنة. وقد تشكلت للمهرجان لجنة عليا ذات اختصاص ومن مختلف المؤسسات الرسمية والخاصة

المعنية. ويهدف المهرجان إلى الارتقاء بثقافة الطفل وبالذائقة الفنية والجمالية للأطفال وذلك من خلال تقديم أعمال أدبية، تشكيلية، غنائية، ومسرحية تساهم في تعزيز ثقافة الطفل وإغنائها، والعمل على تسليط الضوء على الأطفال المبدعين وتكريمهم ومنح الفائزين منهم جوائز مادية وعينية، ويهدف أيضًا إلى تشجيع الكتاب والشعراء على كتابة نصوص وأغانٍ جديدة للأطفال، والعمل على خلق بيئة ملائمة للنقد والحوار وتبادل الخبرات بين المشاركين في المهرجان من مختلف المحافظات، ويأمل المهرجان خلق شراكة حقيقية بين وزارة الثقافة والمؤسسات الرسمية ومؤسسات المجتمع المدني التي تعنى بثقافة الطفل. يمنح المهرجان جوائز مادية وعينية للأطفال الفائزين من مختلف حقول الفن والأدب، بناءً على قرارات لجان التحكيم.

ويتميز مهرجان الابداع الطفولي الثاني بأن كافة الفعاليات المشاركة فيه هي من ابداع الأطفال أنفسهم، فالأطفال هم الذين يقدمون الأعمال الفنية والأدبية وليس كما جرت العادة بأن يقوم الكبار بتقديمها لهم.

وجديد المهرجان هذا العام أنه أتاح المجال لأكبر شريحة ممكنة من أطفال المحافظات والأطراف للمشاركة فيه، وأفرد مساحة واسعة للأطفال من ذوي الإعاقة وخصوصًا الأطفال المكفوفين، بالتعاون مع الأكاديمية الملكية لرعاية المكفوفين الذين جرى تكريمهم هذا العام والاطلاع على نتاجهم الفني والإبداعي في مجال الرسم. ويأتي المهرجان كنوع من الترجمة الحقيقية لاستراتيجية وزارة الثقافة المنبثقة من استراتيجية الحكومة الأردنية في مواجهة العنف والتطرف وحماية الأطفال من كافة أشكال الإساءة والاستغلال والعمالة، واستثمار طاقاتهم في أمور إبداعية، وتحويلها في بعض الأحيان من طاقة سلبية إلى طاقة ايجابية، وذلك ايمانًا من وزارة الثقافة بأن الأطفال هم بناة وقادة المستقبل، وتعد حمايتهم وتثقيفهم بمثابة حماية لمستقبلنا كلنا وتثقيف لمجتمع وكامل، وارتقاء بذائقته الفنية والجمالية، خدمةً للأطفال والمجتمع والإنسانية بشكل عام.

لقد حصلت على المعلومات بخصوص هذا المهرجان بتواصلي المباشر مع سكرتيرة المهرجان السيدة غدير منصور الذي أرشدني إليها الدكتور حكيم حرب مدير المهرجان، غير أني لم أستطع الحصول على نماذج من إبداعات الأطفال المشاركين.

"**نادي الأطفال الأدبي** أنشئ بمبادرة فردية من الدكتور مصطفى محمد عبد الفتاح طبيب أسنان وكاتب في أدب الطفل، حائز على إجازة دكتور في طب الأسنان وجراحتها – جامعة حلب، وهو عضو في اتحاد الكتاب العرب، جمعية أدب الأطفال، ومؤسس ورئيس نادي الأطفال الأدباء في اتحاد الكتاب العرب. منذ عام 2006م كان يعمل في عيادته الريفية في قرية سيجر الرائعة بطبيعتها وسكانها الطيبين، والواقعة في السهول الخضراء في سفح جبل غربي إدلب، وقد لقي من أهلها مودة رائعة، ثم تطورت علاقته بهم فلم يبق بيت من بيوتهم إلا وله فيه ذكرى حلوة.

كانت هذه المحبة المستمرة إلى الآن سببًا في نشوء نادي الأطفال الأدبي، حيث أصبحت عيادته ملتقى لأطفال المدرسة عند انتهاء الدوام، يعدون بعضهم باللقاء في العيادة الصغيرة، وقد حمل كل طفل منهم نتاجه الأدبي بعدما أمضى سهرة البارحة في كتابته، ليعرضه على الدكتور مصطفى في اليوم التالي، وقد أحب أهل الأطفال هذا التوجه الجديد لأطفالهم، لأنهم يتعلمون أشياء جديدة مفيدة لا تفرضها المناهج المدرسية.

بعد مدة تميز بعض الأطفال في كتاباتهم، فخطرت له فكرة إنشاء نادي الأطفال الأدبي الذي سيرعى مواهبهم الصغيرة لتنمو وتكبر وتؤتي ثمارها، فعرض الفكرة على فرع إدلب لاتحاد الكتاب العرب فلاقت صدى جيدًا ووافق اتحاد الكتاب العرب على استضافة بعض نشاطات النادي الأدبي. بعدها بدأ بإقامة الملتقيات الأدبية في قاعة اتحاد الكتاب العرب في إدلب، وكان الأطفال يأتون إلى النادي بصحبة أهاليهم بسعادة غامرة وقد اعتادوا على إقامة ملتقى للنادي في أول سبت من كل شهر، بالإضافة للملتقيات في المدارس وفي المركز الثقافي والمشاركة في احتفالية الطفل.

من نشاطات النادي الأدبي للأطفال: المحاضرات في المدارس، المحاضرات في المركز الثقافي، جلسات نادي الأطفال في اتحاد الكتاب العرب، جلسات وورشات الأطفال في مراكز الإيواء أعمال الأطفال الكتابية: حيث جمع مدير نادي الأطفال الأعمال الإبداعية التي قدمها أطفال النادي وتمت طباعتها في مجموعات قصصية وشعرية، معارض الكتب: يقوم النادي ممثلًا بإدارته باصطحاب الأطفال أعضاء النادي لزيارة معارض الكتب وتوجيههم إلى شراء ما ينفعهم منها، استضافات النادي للأدباء والمبدعين.

أهداف النادي:

– الارتقاء باللغة العربية عن طريق تشجيع القراءة المنهجية لأعضاء النادي.

– ربط الحياة باللغة العربية.

– تأسيس قاعدة من الأطفال تكون ركيزة لدعم سلامة اللغة العربية في المدارس، فأعضاء النادي يُنَبِّهون لأي خطأ لغوي يقع فيه زملاؤهم في المدارس أو معلموهم.

– تنمية حب اللغة العربية ومطالعتها والغوص في أعماقها عن طريق جعل النادي مكانًا مريحًا نفسيًا، وفيه متسع للرفاهية.

– دعم المتميزين لغويًا وأسلوبيًا عن طريق ربطهم بمتخصصين وأدباء ليكونوا أصحاب الإبداع اللغوي في المستقبل.

– دعم أصحاب المواهب الأدبية ومساعدتهم على نشر أعمالهم.

– تشجيع الأطفال على تأسيس مكتبات منزلية عن طريق منحهم الكتب كمكافآت واصطحاب أطفال النادي لزيارة معارض الكتب.

– الفئات المستهدفة:

* الأطفال في سن المدرسة حتى بداية مرحلة الشباب ما بين (6 – 18) سنة.

* أهالي الأطفال لحصد نتيجة التعاون بين إدارة النادي الأدبي وبين الآباء والأمهات بإدخال الأبوين ضمن عملية استعمال اللغة العربية في الحياة اليومية.

- النتائج المحققة:

* حقق نادي الأطفال الأدبي نجاحات كبيرة في استقطاب عدد كبير من الأطفال بتشجيع من أهاليهم لما رأوا من نتائج إيجابية على ملكة أطفالهم اللغوية والإبداعية.

* بلغ مجموع الأطفال الذين انتسبوا للنادي منذ تأسيسه حتى الآن ما يزيد عن ألف وخمسمائة طفل وطفلة، وقد كبر المتقدمون منهم ليفسحوا مجالًا للصغار، برغم ذلك ما يزال النادي يتواصل مع أعضائه جميعًا دون إهمال.

* من النجاحات التي حققها أطفال النادي الحصول على المراكز الأولى في الشعر في مسابقات مديرية ثقافة الطفل.

تعرض النادي لانخفاض النشاط بسبب الأوضاع الطارئة، لكنه استمر وطور نشاطاته التي توسعت لتشمل اشتراك أطفال النادي في العروض المسرحية، وفي إقامة معارض فنية ومعارض للخط العربي، وإقامة ورشات للقراءة في المدارس برعاية وإدارة أعضاء النادي الذين وفر لهم نادي الأطفال الأدبي تدريبًا جيدًا عبر سنوات من المتابعة الحثيثة، بالإضافة لإقامة مسابقات أدبية كتابية وقرائية للأطفال، كما قام النادي بعدد من الرحلات الترفيهية الثقافية لتعزيز ملكة ورغبة القراءة عند الأطفال، كما ساهم أطفال النادي بتوزيع عدد من الكتب على المدارس كهدايا لتلاميذ تلك المدارس بهدف تشجيع القراءة ونشر الثقافة.

هذه المعلومات التي وردت في سياق هذا البحث حصلت عليها مباشرة من مدير النادي ومؤسسه الدكتور مصطفى عبد الفتاح الذي أتوجه إليه بخالص شكري وتقديري لمساعدته في الحصول على هذه المعلومات وعلى نماذج مما كتبه الأطفال المبدعين في النادي، وسأعرض في هذا البحث مقطعين من قصيدة للطفلة نهيدة التي تم عرضها على شاشة التلفاز، بعنوان **"الثلج"**:

"ذات صباح هطل الثلج
غطى في الأنحاء المرج
قال هيا يا أطفال
فلنلعب ما يحلو هيا
فلنصنع كرةً ثلجية
أو نصنع أحلى طاقية
نعطيها لصديقي الثلج
تمنحه عيونًا من زيتون
وأذنين من ليمون...
نادت غيمة، هطلت قطرة
أسرع أسرع يا ثلوج
هيا قد جاءت شموس
لتنير طريقًا للناس
شموس أبدًا لا تعرف
لا تعرف أنك حساس
لا تعرف أنك قد كنت تلمع جدًا كالألماس".

هذه القصيدة تنتقل بنا إلى عالم الخيال الذي يتمتع به الأطفال، ففيها شيء من الخيال وشيء من الواقعية. فالواقعية تكمن في استخدام مفردات لأدوات واقعية نجدها في المنزل لنصنع رجال الثلج: الزيتون

والليمون، وأما الصورة الخيالية فتظهر في هجوم الشمس لتبعد الثلج وتفرح الأطفال بفصل جديد قادم وهو فصل الربيع. ونجد أن الموسيقى واضحة جدًا في هذه القصيدة فقد استخدمت الطفلة وزنًا خفيفًا في كتابتها: فعلن فعلن فعلن فعلن.

في هذا البحث الذي يتناول موضوع تنمية الإبداع لدى الأطفال، أردت أن أعرض قصيدةً كتبتها ابنتي "مريم البتول أشرف كسن" منذ حوالي السنة تقريبًا حين كان عمرها ثماني سنوات، كتبتها بطريقة عفوية عبرت فيها عن مشاعرها تجاه جدّتَيْها.

"جدّتي"

"جدتي... يا جدتي... يا جدتي.. يا جدتي
ما أجمل الحياة معكِ... يا أغلى من كل الأكوانِ
أنتِ جميلةٌ. أنتِ حبيبةٌ. أنتِ أغلى من الذهبِ
إذا أصابكِ أيُّ شيءٍ أبكي وتنهمر الدموع
كأنّ أحدًا قد قتلني وأماتني
لكن أنتِ أغلى من كلِّ الناسِ...
جدتي.. يا قمرًا مضيئًا للعالمِ الكبيرِ
جدتي يا أغلى من ذهبٍ وفضةٍ..
جدتي يا لؤلؤ البحر الأبيض اللامع كالثلجِ في الجبالِ
أحبكِ يا جدتي...".

لقد عرضت هذه القصيدة على الشاعر مصطفى عبدالفتاح بما أنه مؤسس نادي الأطفال الأدبي الذي تحدثنا عنه سابقًا، وقد أعجب بهذه القصيدة بالنسبة لعمر ابنتي، وأنها تمتلك نفسًا شعريًا جيدًا، وبالرغم من عدم وجود وزن للقصيدة إلا أنها تحتفظ في تراكيبها بلمسةٍ من الموسيقى الداخلية، وفيها عدم تكلف للقافية، لأن القافية تعني للطفل التصنع وهذا لا يتناسب مع العفوية التي يتصف بها الصغار.

وقد شجعني الدكتور مصطفى على تشجيع ابنتي بنشر هذه القصيدة في مجلة للأطفال مع صورتها فهذه الخطوة برأيه تعتبر تشجيعًا قويًا طويل الأمد. وتمنى لو كانت قريبةً منه ليضمها إلى النادي الأدبي.

إذًا هنا يكمن دور كل من الأهل والمدرسة والمعلمة والنوادي التي تهتم بتنمية الإبداع عند الأطفال في اكتشاف مواهب أطفالهم وتنميتها وتشجيعهم على المثابرة والإبداع.

- **الخاتمة والتوصيات:**

إن اكتشاف مواهب الأطفال المبدعين ورعايتهم، ليس بالأمر السهل، بل هو أمر يحتاج إلى تخطيط تربوي، وحشد هائل للطاقات المادية والبشرية.

وتقع على عاتق الأسرة والمدرسة كمؤسستين تربويتين مسؤولية احتضان الأطفال ورعايتهم، والبحث باستمرار عن القدرات الكامنة فيهم، وجعلها تظهر في أعمال إبداعية تعبر عن أفكارهم ومشاعرهم.

ويجب أن تتوفر للطفل البيئة المساندة للإبداع، ومن ميزات هذه البيئة أنها داعمة لشخصية الطفل، فهي تقدره لذاته وتوفر له الأمن النفسي الذي يستطيع في ظله أن يعبر عن أفكاره بحرية، وأن يظهر أعماله الإبداعية.

تشجيع القراءة من قبل الأهل والمدرسة والمعلمين ومن خلال نشاطات ومسابقات ثقافية كمسابقة تحدي القراءة العربي الذي يشارك فيه أطفال من مختلف البلدان العربية، ونحن بدورنا نوصي المدارس بإجراء مثل هذه النشاطات والمشاركة فيها على الصعيد المحلي والعربي والعالمي فالقراءة تدفع الأطفال للإبداع، الذي بدوره يزودهم بالثقة بالنفس، وبطرق ذات معنى لاستخدام اللغة.

والكتب المدرسية بما أنها جزء من أدب الأطفال، ونتاج عقلي مدون في كتب موجهة للأطفال، لذلك عليها أن تراعي الخصائص العقلية والنفسية لهم. ويجب أن تشتمل الكتب المدرسية على الكثير من النماذج الأدبية الشائقة والجميلة (القديمة والحديثة) التي تمتع نفس الطفل بقراءتها، وتنمي ثروته اللغوية، وتوسع آفاقه الفكرية، وتجعله يتصل فكريًا وعاطفيًا بأفراد الشعوب الأخرى، فيخلق لنفسه أصدقاء من الكتاب، وأصدقاء خياليين من شخصيات القصص وهذه الأمور تتم تحت إشراف وزارة التربية التي نطلب منها أن تراقب الكتب المدرسية بمضامينها وتجديد محتواها بما يتلاءم مع التطوير الحديث وبما يناسب شخصيات الأطفال على اختلاف مراحلهم الدراسية.

فعندما يقرأ الطفل كثيرًا، ويتذوق فنيًا النصوص التي يقرأها، تتغذى ميوله وقدراته الإبداعية، ويصبح راغبًا في الكتابة بنفسه، وهنا يأتي دور الوالدين لتشجيعه، ودور المعلم في المدرسة ليأخذ بيده ويدربه على الكتابة. وعلى المدرسة أن تضع خططًا لتدريب الطلاب على الكتابة الإبداعية، فلا يبقى الأمر خاضعًا للصدفة، ومزاج المعلم، وفسحة الوقت.

كما أن للمعلم والمدرسة دورًا أساسيًا ومهمًا في عملية التنمية الإبداعية من خلال إجراء دراسة عمليّة في التعامل مع الطفل وتحريض مخيلته بأمثلة موثّقة، نتمنى أن ينظر فيها وأن تجرّب في المدارس، فنحن نشهد الضياع في دروس التعبير، والحيرة التي تتردد في ممارسات المعلمين، فمن أهداف درس التعبير أن نعدّ أديب المستقبل، ولن نعدّه بتوصياتنا، بل بتشجيعه على أن يعبّر عن مشاعره وذاته بحريّة وصدق. وهنا يكمن دور المدرسة بما فيها من إدارة ومعلمين ومرشدين تربويين ونفسيين دورًا مهمًا في الكشف عن طاقات الطفل الإبداعية، وتشكيلها، وتنميتها.

كما أن لوسائل الإعلام المختلفة دورها البارز في تنمية الجانب المعرفي لدى الأطفال والأفراد، ولها دورها في تنمية العمليات العقلية للطفل، انطلاقًا من أن المعلومات المقدمة للطفل ليست كافية لتشكيل وعيه الثقافي، لذا ينبغي تقديم هذه المعلومات بأسلوب يسهم في توسيع مداركه، وإثارة تفكيره، وإعمال عقله، وإثراء خياله، وبطريقة تستثير ملاحظاته، وتدعوه للتأمل والتساؤل، والفحص والتجريب والبحث والاختبار والربط والاستنتاج والتعليل، وذلك لتنمية عملياته العقلية، وإبراز المهارات الكامنة لديه، بعيدًا من جفاف المعلومات الذي يدعو إلى الملل، والخرافة التي تعرقل مسيرة التفكير العلمي، لذا ينبغي تنشئة

أطفالنا على نبذ أساليب التفكير الخرافي، وطبعهم على التفكير العلمي الذي يعد أحد المتطلبات الأساسيَة للوعي الثقافي فهو يمنح الإنسان وعيًا صادقًا بالحياة والطبيعة والنفس والمجتمع والتاريخ.

وندعو وزارة الإعلام بالتعاون مع وزارة الثقافة لمراقبة ما يعرض للأطفال على شاشات التلفاز من برامج ومسلسلات كرتونية وتفعيل البرامج الثقافية والتربوية والعلمية الهادفة التي غابت عن شاشاتنا وقنواتنا.

نهايةً نقول، بتضافر جهودنا أهلًا ومعلمين وتربويين وكتّاب أدب أطفال وبالتعاون مع الوزارات المعنية وكل أطياف المجتمع ووسائل الإعلام ودور النشر، نستطيع أن نساهم في عملية تنمية الإبداع لدى الأطفال الذين سيبنون مستقبلهم بفكرهم وأسلوبهم وطريقتهم الخاصة بما يتلاءم مع متغيرات العصر.

***

الهوامش

*** أستاذة في مركز اللغات لتعليم العربية للناطقين بغيرها في جامعة الجنان – طرابلس (لبنان).**

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، 1979، ص 229- 231.

[2] معجم ألفاظ القرآن، ج 2، ص 82.

[3] Webster Dictionary: 1995

[4] جروان، فتحي عبدالرحمن، الموهبة والتفوق الإبداعي، دار الكتاب الجامعي، ص 83، 1999.

[5] العناني، حنان عبد الحميد، أدب الأطفال، دار الفكر للنشر و التوزيع، ط2، عمان، ص5، 1995.

[6] نشوان، يعقوب، الخيال العلمي لدى أطفال دول الخليج، دراسة ميدانية، مكتب التربية العربي لدول الخليج للنشر، ص 39، 1993.

[7] كلارك، 1993.

[8] Fisher, Robert. (2001). Teaching Children to Think. Nelson Thornes Ltd. United Kingdom.

[9] نجيب، أحمد. (1994). أدب الأطفال علم وفن. القاهرة – مصر: دار الفكر العربي.

[10] Fisher, Robert. (2001). Teaching Children to Think. Nelson Thornes Ltd. United Kingdom. 30.

[11] المرجع السابق.

[12] نجيب، أحمد. (1994). أدب الأطفال علم وفن. القاهرة – مصر: دار الفكر العربي.

[13] Verton", the nature problems-in creativity in glower", book of creativity, New York, 1989, p 94.

[14] عيسى، حسن أحمد، سيكولوجية الإبداع بين النظرية والتطبيق، مكتبة الإسراء، القاهرة، ص24، 1994.

[15] Wallace, D "gifted and construction of creative life in P,D hore witz PM Brie (Eds) the gifted and talented: developmental perspectives, H Nille" MD, the American psychological association.

[16] جبر، أحمد فهيم، نشرة الدراسات التربوية حول مضامين الإبداع في فلسطين، جامعة القدس المفتوحة، القدس، ص 10، 2000.

[17] درويش، زين العابدين، تنمية الإبداع منهجه وتطبيقه، دار المعارف، القاهرة، ص 26، 1983.

[18] روشكا، الكسندر، الإبداع العام والخاص، ترجمة غسان عبد الحي، سلسلة عالم المعرفة، العدد144، الكويت، ص 108، 1989.

[19] طعيمة، رشدي أحمد وآخرون، دليل منهج اللغة العربية، مركز تطوير المناهج، القاهرة، ص7، 1990.

[20] ذهني، محمود، تذوق الأدب، القاهرة، ص 89، 1988.

[21] عبد الوهاب، سمير، فاعلية برنامج لتنمية مهارات الكتابة الإبداعية لدى طلاب المرحلة الثانوية للموهوبين في الشعر، مؤتمر أحلام دمياط، كلية التربية بدمياط- جامعة المنصورة، ص 141- 150، 1999.

[22] الناصر، حسن جعفر، الأطر النظرية لتفعيل تعلم اللغة العربية، المؤتمر العلمي الثاني عشر حول مناهج التعليم وتنمية التفكير، 25- 26 حزيران، 2000.

[23] Otto, N: the relationship between individual differences in learner creativity and language learning success, English journal, v, N4, P763.

[24] الهيتي، هادي نعمان، ثقافة الأطفال، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ص 141، 1988.

[25] خير الله سيد، والكناني ممدوح، سيكولوجية التعلم بين النظرية والتطبيق، دار النهضة العربية، القاهرة، ص 222، 1996.

[26] غانم، محمود محمد، التفكير عند الطفل، تطوره وطرق تعلمه، دار الفكر، عمان، ص 21، 1995.

[27] عسر، حسني عبد الباري، قضايا في تعليم اللغة العربية وتدريسها، المكتب العربي الحديث، الاسكندرية، ص 39، 1999.

[28] نجيب، أحمد، أدب الأطفال والتربية الإبداعية، ثقافة الطفل، المركز القومي لثقافة الطفل، سلسلة بحوث ودراسات، المجلد التاسع، ص85، 1996.

[29] Fisher, Robert. (2001).Teaching Children to Think. Nelson Thornes Ltd. United Kingdom.35

[30] المرجع السابق.

[31] المرجع السابق، ص 37.

[32] قطامي، يوسف وقطامي، نايفة. (2001). سيكولوجية التدريس. عمان – الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع. ص 510.

[33] المرجع السابق، ص 511.

[34] نشوان، يعقوب، الخيال العلمي لدى أطفال دول الخليج العربي، دراسة ميدانية، مكتب التربية العربي لدول الخليج للنشر، الرياض، ص 5، 1993.

[35] الرجبي، محمود عمر ومحمد جمال، مجلات الأطفال العربية والعناية بالخيال العلمي، المؤتمر الثامن عشر للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، 12– 19 كانون الأول، عمان، ص87، 1992.

[36] نشوان، يعقوب، الخيال العلمي لدى أطفال دول الخليج العربي، دراسة ميدانية، مكتب التربية العربي لدول الخليج للنشر، الرياض، ص42، 1993.

[37] الهيتي، 1998، ص88

[38] الرجبي، محمود عمر ومحمد جمال، مجلات الأطفال العربية والعناية بالخيال العلمي، المؤتمر الثامن عشر للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، 12–19 كانون الأول، عمان، ص87، 1992.

[39] الهدهد، روضة الفرخ، أدب الخيال العلمي الموجه للأطفال المترجم إلى العربية، المؤتمر الثامن عشر للاتحاد العام للأدباء الكتاب العرب، 12–19 كانون الأول، عمان، ص222، 1992.

[40] للمزيد من المعلومات، يمكن الرجوع إلى: عبد العزيز القوصي. اللغة والفكر. القاهرة، من مطبوعات معهد التربية العالي للمعلمين، 1946.

[41] نجيب، أحمد. (1994). أدب الأطفال علم وفن. القاهرة – مصر: دار الفكر العربي.

[42] إبراهيم بن عبدالله النميري، أبو القاسم، المعروف بابن الحاج، المتوفى عام 1367م، أديب أندلسي من كبار الكتاب، ولد بغرناطة، له شعر جيد وتصانيف منها (المساهلة والمسامحة في تبيين طرق المداعبة والممازحة)، و(تنعيم الأشباح في محادثة الأرواح)

[43] القريطي، عبد المطلب أمين، دور المدرسة في عملية التنشئة السياسية للطفل، مجلة ثقافة الطفل، المركز القومي لثقافة الطفل، ص 26، 1996.

[44] نجيب، أحمد. (1994). أدب الأطفال علم وفن. القاهرة – مصر: دار الفكر العربي.

[45] أبو خضرة، فهد وآخرون. (1989). منهاج تدريس اللغة العربية وآدابها للمدارس الابتدائية العربية. القدس: وزارة المعارف والثقافة.

[46] الحسن، هشام، طرق تعليم الأطفال القراءة والكتابة، عمان– الأردن: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ص 1990،115.

[47] يحيى، رافع. (2001). تأثير ألف ليلة وليلة على أدب الأطفال العربي. حيفا: دار الهدى للطباعة والنشر، ص18.

[48] أبو فنة، محمود. (2001). القصة الواقعية للأطفال في أدب سليم خوري. حيفا: دار الهدى للطباعة والنشر.

[49] المرجع السابق.

[50] المرجع السابق.

[51] جوسلين: المدرسة والمجتمع العصري، ترجمة: محمد قدري لطفي. محمد منير مرسي. محمد عزت عبد الموجود، عالم الكتب.

– حامد العبد: مرجع سابق.

– عبلة حنفي: فنون أطفالنا– مكتبة النهضة المصرية بالإشتراك مع مركز دراسات الطفولة بجامعة عين شمس – إشراف: كاميليا عبد الفتاح.

– فتحية سلمان: تربية الطفل بين الماضي والحاضر– دار الشروق.

– فرجينيا بيلارد: مرجع سابق.

***

المصادر والمراجع:

- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، 1979
- إبراهيم، عبدالستار الإبداع قضاياه، وتطبيقاته، جماعة التأصيل الأدبي والنقدي، 1998.
- أبو خضرة، فهد وآخرون، منهاج تدريس اللغة العربية وآدابها للمدارس الابتدائية العربية، وزارة المعارف والثقافة، القدس، 1989.
- أبو فنة، محمود، القصة الواقعية للأطفال في أدب سليم خوري، دار الهدى للطباعة والنشر، حيفا، 2001
- الحسن، هشام، طرق تعليم الأطفال القراءة والكتابة، عمان– الأردن: دار الثقافة للنشر والتوزيع
- الرجبي، محمود عمر ومحمد جمال، مجلات الأطفال العربية والعناية بالخيال العلمي، المؤتمر الثامن عشر للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، 12–19 كانون الأول، عمان، 1992.
- العناني، حنان عبدالحميد، أدب الأطفال، دار الفكر للنشر و التوزيع، ط2، عمان، 1995.
- القريطي، عبد المطلب أمين، دور المدرسة في عملية التنشئة السياسية للطفل، مجلة ثقافة الطفل، المركز القومي لثقافة الطفل، 1996.
- الناصر، حسن جعفر، الأطر النظرية لتفعيل تعلم اللغة العربية، المؤتمر العلمي الثاني عشر حول مناهج التعليم وتنمية التفكير، 25– 26 حزيران، 2000.
- الهدهد، روضة الفرخ، أدب الخيال العلمي الموجه للأطفال المترجم إلى العربية، المؤتمر الثامن عشر للاتحاد العام للأدباء الكتاب العرب، 12– 19 كانون الأول، عمان.
- الهيتي، هادي نعمان، ثقافة الأطفال، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1988.
- جبر، أحمد فهيم، نشرة الدراسات التربوية حول مضامين الإبداع في فلسطين، جامعة القدس المفتوحة، القدس، 2000.
- جروان، فتحي عبد الرحمن، الموهبة والتفوق الإبداعي، دار الكتاب الجامعي، 1999
- معجم ألفاظ القرآن، ج2
- جوسلين: المدرسة والمجتمع العصري – ترجمة: محمد قدري لطفي. محمد منير مرسي. محمد عزت عبد الموجود – عالم الكتب.
- حنفي، عبلة، فنون أطفالنا، مكتبة النهضة المصرية بالاشتراك مع مركز دراسات الطفولة بجامعة عين شمس، إشراف: كاميليا عبد الفتاح.
- خير الله سيد، والكناني ممدوح، سيكولوجية التعلم بين النظرية والتطبيق، دار النهضة العربية، القاهرة، 1996.
- درويش، زين العابدين، تنمية الإبداع منهجه وتطبيقه، دار المعارف، القاهرة، 1983.
- ذهني، محمود، تذوق الأدب، القاهرة، 1988.
- روشكا، الكسندر، الإبداع العام و الخاص، ترجمة غسان عبدالحي، سلسلة عالم المعرفة، العدد144، الكويت.
- سلمان، فتحية، تربية الطفل بين الماضي والحاضر، دار الشروق.
- طعيمة، رشدي أحمد وآخرون، دليل منهج اللغة العربية، مركز تطوير المناهج، القاهرة، 1990.
- عبد الوهاب، سمير، فاعلية برنامج لتنمية مهارات الكتابة الإبداعية لدى طلاب المرحلة الثانوية للموهوبين في الشعر، مؤتمر أحلام دمياط، كلية التربية بدمياط– جامعة المنصورة، 1999.
- عسر، حسني عبدالباري، قضايا في تعليم اللغة العربية وتدريسها، المكتب العربي الحديث، الاسكندرية، 1999.
- عيسى، حسن أحمد، سيكولوجية الإبداع بين النظرية والتطبيق، مكتبة الإسراء، القاهرة، 1994.
- غانم، محمود محمد، التفكير عند الطفل، تطوره وطرق تعلمه، دار الفكر، عمان، 1995.
- قطامي، يوسف وقطامي، نايفة، سيكولوجية التدريس، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 2001.
- نجيب، أحمد، أدب الأطفال علم وفن، دار الفكر العربي، القاهرة، 1994.
- نجيب، أحمد، أدب الأطفال والتربية الإبداعية، ثقافة الطفل، المركز القومي لثقافة الطفل، سلسلة بحوث ودراسات، المجلد التاسع، 1996.
- نشوان، يعقوب، الخيال العلمي لدى أطفال دول الخليج العربي، دراسة ميدانية، مكتب التربية العربي لدول الخليج للنشر، الرياض، 1993.
- يحيى، رافع، تأثير ألف ليلة وليلة على أدب الأطفال العربي، دار الهدى للطباعة والنشر، حيفا، 2001.

المصادر الأجنبية:

- Fisher, Robert. (2001).Teaching Children to Think. Nelson Thornes Ltd. United Kingdom.30
- Otto, N: the relationship between individual differences in learner creativity and language learning success, English journal, v, N4, P763.
- Verton", the nature problems-in creativity in glower", book of creativity, New York,1989,p 94
- Wallace, D"gifted and construction of creative life in P,D hore witz PM Brie (Eds) the gifted and talented: developmental perspectives, H Nille" MD, the American psychological association.
- Webster Dictionary:1995

***